المنهج النقدي عند ابن حجر العسقلاني(ت ٨٥٣هـ)

دراسة للحياة السياسية والادارية والعلمية والاجتماعية

الدكتور

أحمد عليوي صاحب

بسم الله الرحمن الرحيم

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

صدق الله العلي العظيم

{سورة الزَّلزلة الآية ٧-٨}

الإهداء

إلى من أفتخر بحمل اسمه طوال عمري ...

إلى من علمني وأرشدني ووضعني على الطريق القويم...

وزرع في نفسي الأمل والعفو التسامح ...

مثلي الأعلى ...

والدي الكريم ..

المحتويات

المقدمة

لم يأخذ هذا النوع من الدراسات أهمية في مجال الكتابة التاريخية، إذ يبرز لنا جانب مهم من الجوانب المنهجية التي سلكها مؤرخونا الكبار؛ لما لها من مشاركة في مجال التراث الفكري الحضاري العربي الإسلامي، أضف إلى ذلك قلة الدراسات التي تناولت دراسة النقد التاريخي عند ابن حجر، وتوظيف هذه الدراسات والاستفادة منها في منهجية الكتابة التاريخية.

ولم ينل النقد التاريخي حظّه كثيرًا في الدراسات المنهجية التاريخية؛ إذ لم يتم البحث عنه بصورة ناضجة، ولا نبالغ إذا قلنا: إنه من دون مثل هذه الدراسات، لا نستطع أن نقدم صورة واضحة وصحيحة للمنهج التاريخي، في مجال نقد الروايات التاريخية وتحليلها، فضلاً عن إظهار المستوى الفكري التطوري للنقد التاريخي عند ابن حجر في العصور الوسطى.

واهتم ابن حجر بانتقاء مادته التاريخية ونقدها، فقد جمع بين منهجيين، منهج علماء الحديث، ومنهج المؤرخين في النقد، فقد امتزج النقد التاريخي مع الجرح والتعديل، فنلاحظ أن ألفاظهُ النقدية تعبّر عن محدث، وفقيه، ومؤرخ، فاستعمل في نقده، ألفاظاً لها علاقة بعلم الرجال، منها: (انتهت إليه الرياسة) (قبيح السيرة) و(تولع بالأدب واشتهر)، (وفاق أقرانه في العربية) (ولم يكن ماهراً في العربية).

اعتمد الباحث على منهج معينة في هذه الدراسة، وهو المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع الأفكار التي عرضها ابن حجر في مؤلفاته التاريخية كتابه، وقراءتها للتوصل إلى عرض الفكر النقدي عند ابن حجر.

لذا تبرز أهمية هذه الدراسة في عرض المنهج النقدي الذي سار عليه ابن حجر من خلال التركيز على النقد الايجابي والسلبي، ونلاحظ من ذلك أن ابن حجر كان يعد هذا العمل مهما، بل وضرورة تاريخية على اعتبار أنه من قَبيل

الجرح والتعديل، وهو لصيق الصلة بوصفه رجل دين، ويبرز لنا هذا المنهج من خلال تراجم كتابه التي ضمت في ثناياها نصوصًا تتعلق بهذا الموضوع وتحليل هذه النصوص في ضوء منهجه، واعتنى ابن حجر بالنقد التاريخي حيث يظهر لنا جليا عبر ممارسته له سواء إن كان ذلك اتفاقاً ام اختلافاً، ويبدو منهجه في النقد التاريخي في كتب التراجم، سواء كان ذلك في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)،(انباء الغمر وانباء العمر) أم في غيره من المؤلفات التاريخية الأخرى، على اعتبار أنه جزء رئيس مهم من منهجه في الكتابة التاريخية، منطلقا من مفهومه للتاريخ(١).

ولابــد لنا من دراسة البيئة التي نشأ وترعرع فيها ابن حجر، حيث تتجلى أهمية دراسة الاوضاع السياسية والفكرية التي ساهمت في بروزه.

اما فيما يخص فصول هذا الكتاب فأن طبيعته قد فرضت تقسيمه الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ضمت أهم النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة، ثم اتبعتها بملاحق، وقائمة بالمصادر والمراجع.

تناول الفصل الاول المكانة العلمية لابن حجر العسـقلاني، مـن حيـث: سيرته، و ثقافته، ومؤلفاته، ومنهجه في النقد التاريخي.

وفي الفصل الثاني بحثتُ نقد الجانب السياسي، وقد قسم الى محورين المحور الاول: نقد اصحاب القرار السياسي، اذ تناول نقد الملوك والسلاطين من الناحية السياسية وما يترتب عليها من تأثيرات على سياساتهم تجاه الرعية، وكذلك وصف حالات اجتماعية لها علاقة بالجانب السلوكي الفردي وهذا له اثار سلبية على هيبة وشخصية المترجم له وهو بمنصب السلطان، وكذلك وجه النقد

---

(١) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ، ص٤٦٢؛ عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي، ص٤٠٨.

الى الولاة وتأتي أهمية من حيث نقد أحوال الامراء وتصرفاتهم وانعكاسات أفعالهم على الرعية او تأثيراتهم في أحداث العصر مما صاحبهم او أتى بعدهم.

فضلاً عن نقد أمراء الوظائف المرتبطة بالرتب العسكرية، وتشمل امراء العشرة وامراء المئة وغيرهم من اكابر ارباب الوظائف والنواب الخارجون عن حضرة السلطان، وكذلك شمل الوظائف التي تكون بخدمة السلطان.

وتطرقت في المحور الثاني الى نقد القضاة وما يجب أن يمتاز به القاضي من الورع والعفة ومعرفته بالأمور الشرعية، والتي تعد من اهم مقومات القاضي، ومن القضاة من يتصف بسيرة وسلوكيات غير صحيحة ولكن مثل هؤلاء القضاة لم يستمروا بهذا المنصب كثيراً.

اما الفصل الثالث فقد تطرقتُ فيه الى نقد الجانب الاداري بحثتٌ نقد ابن حجر للطبقة الإدارية، فاهتم في نقد كاتب الانشاء، ونظرا لأهمية وخطورة هذا الديوان فقد كان متوليه يختار من بين ارفع الناس طبقة ومن الذين يتصفون بالمروءة والحشمة، ويتمتعون بمستوى علمي وفني ولغوي جيد، فضلاً عن معرفته بآيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم (ص) وان يكون عارفا بسير الخلفاء والملوك ملما بتواريخ الأمم، وكذلك تناول نقد المحتسبين، حيث يظهر ان سير الحسبة في بداية العصر المملوكي كان سيرا حسنا.

اما الفصل الرابع فقد سلط الضوء على نقد نقد الجانب العلمي، فقد شمل عدة محاور: اولاً: نقد رجال الدين، سواء ما يخص السلوك الديني والاجتماعي، فضلاً عن الجانب العلمي، اما المحور الثاني: فقد تناول نقد المؤرخين، اما المحور الثالث: فقد تطرق الى نقد ابن حجر للأدباء واللغويين، من حيث معرفتهم بعلوم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها، وعروض الشعر وقوافيه التي حددها علماء اللغة لجودة الأسلوب وفصاحته.

اما الفصل الخامس فقد سلط الضوء على نقد الجانب الاجتماعي، بحثتُ نقد فئة التجار التي برزت في عصر السلاطين المماليك وأصبحت مقربة من السلطة الحاكمة بسبب توليهم مناصب مهمة في الدولة، وكذلك تناولت فيه نقد اصحاب المهن والصناعات، والتي يعد أفرادها من فئات المجتمع الأخرى الذين امتازوا باتقانهم عدة صناعات كان لها تأثيرها في المجتمع المصري، ودرس المبحث الرابع نقد الاقارب والأصدقاء عند مؤرخي مصر.

تحليل المصادر والمراجـــع

اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع ودراسات متعددة ومتنوعة اسهمت في رسم الصورة التي تم الاشارة اليها في المتن، وقد تفاوتـــت هـــذه المصـــادر والمراجع في معلوماتها والتي افادت البحث ، ولاسيما ان الدراسة تبحث معارف متعددة في طبيعتها .

كتب التراجم:

اعتمدت الدراسة بالدرجة الاولى على كتب التراجم المصريين، وهي الكتب التي تضمنت تراجم السلاطين والامراء والنواب والقضاة، والمثقفين بما فيهم الفقيه والمحدث، والمؤرخ، والاديب، والشاعر، وكذلك الاداريين بمن فيهم الوزراء والكُتّاب.

وفي مقدمة هذه الكتب كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة) لتقي الدين احمد بن علي المقريزي(ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، فقد تضمن هذا الكتاب تراجم من عاصرهم المؤلف، فكتب عنهم وعن اخبارهم دون ان ينقل من كتب أخرى وقد تناول الكتاب فترة مهمة من فترات تاريخ مصر فهو يذكر

من كان حيا سنة ٧٦٠هـ، حتى توقف عن الكتابة قبل وفاته بقليل، ونلاحظ ان المؤلف قد خص هذا الكتاب بتراجم الأعيان، ولهذا لا يجد المتتبع تراجم للحرفيين او اصحاب الصناعات، وان المقريزي قد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على اتصالاته وملاحظاته الشخصية عن المجتمع، ولاسيما رجال السلطة الحاكمة ورجال القضاء، ورجال الدين، وكذلك ترجم لبعض مشاهير التجار.

وكان لمصنفات ابن حجر العسقلاني شهاب الدين احمد المتوفى سنة(٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الجانب المهم في رفد فصول الدراسة بالمعلومات القيمة والخاصة بتراجم الرجال ومنها كتاب (الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة)، الذي يعد من المصادر التي قدمت مادة تاريخية عن الامراء والسلاطين، وتكمن اهمية هذا الكتاب بما امتاز به من الدقة والشمولية والتفصيل، ويعد هذا المصدر من المصادر الأولية المهمة لقرب مؤلفها زمانا ومكانا من أصحاب التراجم.

كما أفدنا من كتاب (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي) لجمال الدين يوسف بن تغري بردي(ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الذي امتاز بالدقة والسعة والشمول، كونه من ابناء السلطة، اذ كان ابوه اتابكاً للديار المصرية فكان يدخل البلاط متى اراد ذلك، ويطلع على الاحداث السياسية والادارية، أو يستمع لأخبارها في البلاط، وبهذا احتوى كتابه على معلومات قيمة أغنت معظم فصول الدراسة فقد استفدت منه في ذكر الطبقة الحاكمة، والاداريين، وكذلك نجده ينتقد الطبقة الحاكمة نقدا لاذعاً، لاسيما الاحداث التي عاصرها والشخصيات الذين خبرها عن قرب وكتب عنهم بشكل دقيق.

وقد صنف الحافظ شمس الدين السخاوي(ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)، على غرار كتاب الدرر الكامنة لابن حجر، وقد احتوى تراجم رجال من عاصرهم او كان قريب منهم من أعيان مصر من

العلماء والقضاة والرواة، ويعد هذا الكتاب من الكتب النقدية المميزه، اذ لا نجد مصدراً آخر في التراجم يجاريه في قوة النقد ووضوح العبارات النقدية وجرئتها وكثرتها، ولم يسلم من نقده حتى كبار الشخصيات من معاصريه سواء اكانوا من العلماء أم من الطبقة الحاكمة.

اما كتاب(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن المتوفى سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م) فهو كتاب شامل اعتمد على اغلب الكتب التي سبقته في هذا الفن، فضلاً عن اعتماده على الكثير من الكتب الادبية، والتاريخية، وكتب التراجم، ومشاهداته، وذكره لعلماء عصره، وشيوخه، واورد فيه النحويين واللغويين واخبارهم وفوائدهم ومناظراتهم واشعارهم ومروياتهم، فالكتاب إذاً خلاصة لكتاب واسع جداً في موضوعه، وهذا ما يفسر لنا اختصار التراجم فيه واقتصارها في أغلب الأحيان على ذكر اسم العالم، وتاريخ وفاته، وأسماء أساتذته وتلاميذته، وعناوين مصنفاته، وقد يورد أحياناً نتفاً من أخبار من يترجم لهم وآرائهم المشهورة، وكان قد رتبه على حروف المعجم، وكانت الفائدة منه تكمن في ترجمته للكثير من اللغويين والنحويين ذاكراً مصنفاتهم والقابهم وولادتهم ووفاتهم، ثم نقد بعض المترجم لهم من حيث مهارتهم ومكانتهم اللغوية والأدبية.

كتب التأريخ الحولي:

ومن الكتب المساعدة في هذه الدراسة كتب التأريخ الحولي اذ احتوت معلومات وافية نسبياً عن الاحوال السياسية، وفي مقدمتها، كتاب (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) لبدر الدين محمود المعروف بالعيني (ت ٨٥٥ هـ /١٤٥١م)، فهو من كتب التأريخ التي تنهج منهج الحوليات، وتعود أهمية لما ضمه من معلومات وفيرة عن دولة المماليك، ولاسيما ان المؤلف كان معاصراً

لتلك الدولة ومقرباً من سلاطينها، فكان قد شغل مناصب ادارية مهمة منها الحسبة، والقضاء ونظر الأحباس، ثم أخذ يتقرب من سلاطين المماليك، والذي جعله ضمن حاشيتهم اتقانه للغة التركية، ومعرفته في بعض العلوم منها، النحو، واللغة، والصرف، فقد زودنا كتابه بمادة غنية عن الجوانب الادارية ومن تولى هذه المناصب.

أما كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لأبن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٧١م) فهو وان كان في التأريخ الحولي الا انه من المصادر المملوكية المهمة التي تغطي أخبار مصر منذ الفتح الاسلامي حتى عصر المؤلف، إذ قدم لنا معلومات هامة عن حوادث مصر والقاهرة وادارتها تحت حكم سلاطين المماليك البحرية، وقد افادنا في حالات التأكيد او النفي لبعض الروايات التاريخية والآراء النقدية، وامتاز هذا الكتاب بكثافة المادة التاريخية الواردة فيه عن عصر المماليك الذي عاصره المؤلف وكان شاهد عيان على الكثير من احداثه وشخصياته.

كتب التأريخ الاداري:

اهتمت كتب الإدارة بتقديم الشرح للكثير من المصطلحات، ومنها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية المستخدمة في الدول والإمارات الإسلامية في مصر والشام، وجاء التأكيد على ذلك عند القلقشندي ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) في مؤلفه (صبح الأعشى في صناعة الانشا) والذي يأتي في طليعة هذا النوع من الكتب، فقد تحدث عن الدواوين والنظم السياسية والادارية في العهد المملوكي، فضلاً عما فيه من معلومات مهمة عن ديوان الانشاء، وما يتضمنه الكتاب من معلومات وإيضاحات هامة في الأُسس التي يقوم عليها نشاط الدواوين٠

التمهيد

الحياة السياسية والفكرية في مصر خلال القرن التاسع الهجري

أولا : الحياة السياسية.

حكمت مصر والشام طبقة عسكرية ارستقراطية وهي طبقة المماليـــك[١]، وقد قام المماليك بإحياء الخلافة العباسية سنة(٦٥٩هـــ/ ١٢٦٠م)، بمبـــايعتهم المستنصر بالله وذلك لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمهم، وكان أصل المماليك في الغالب من الاتراك القفجاق أو من الشركس القوقاز[٢] وكان ابتـــداء حكمهـــم لمصر بعد زوال الدولة الايوبية سنة (٦٤٨هــ/ ١٢٥٠م).

وكان العامل السياسي هو الذي دفع الصالح نجم الدين أيوب الـــى جلـــب المماليك والاهتمام بهم واسكانهم جزيرة الروضة[٣]، وذلك لحاجته الى جيش قوي يسانده- للسيطر على الدولة ودفع خطر التهديدات الخارجية، لإسكانهم فيها، لذلك سموا بـــ(المماليك البحرية)، وكان معظم هؤلاء من الاتراك القفجـــاق (شـــمالي البحر الاسود)[٤].

---

(١) المماليك، جمع مملوك، وهو يقصد به العبد أو الرقيق، أو هو كل ما ملك واختص في العرف بالرقيق من البشر، والمملوك أصلاً من الامتلاك للشيء، وكان مصدرهم الشراء والأسر في ميدان القتال، ثم الهبات والإهداء وفي شكل ضريبة أو جزية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ / ص٤٧١-٤٧٢؛ عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص ١٣.

(٢) سليمان، تأريخ الدول الإسلامية، ج١/ ص١٥٩.

(٣) جزيرة الروضة : تقع بين مدينة مصر ومدينة الجيزة، وعرفت في اول الاسلام بالجزيرة، وبجزيرة مصر ثم جزيرة الحصن، وعرفت الى اليوم بالروضة . ينظر: المقريزي، الخطط، ج ٢/ ص٧٨٧.

(٤) الخطط، ج٢/ ص٢٣٤.

وكان للظروف السياسية التي أحاطت بالمنطقة والمتمثلة بحملـــة لـــويس التاسع ملك فرنسا على مصر سنة(٦٤٧هـ/١٢٤٩م) وخطر الصـــليبين ودور المماليك للتصدي لهم والانتصار عليهم في معركـــة المنصـــورة[١] ثـــم معركـــة فارسكور[٢] في العام نفسه[٣]، دور كبير في وصول المماليك الى السلطة[٤].

وعلى اثر ذلك قامت دولة المماليك البحرية ســـنة(٦٤٨هـــــ/ ١٢٥٠م) وكان من اشهر سلاطينها المعز ايبك، وسيف الدين قطـــز، والظـــاهر بيبـــرس، وسيف الدين قلاوون، وغيرهم من السلاطين[٥] حيث بلغ عددهم ثمانية وعشرون سلطاناً آخرهم السلطان الصالح زين حاجي بن شـــعبان الـــذي خلفـــه برقـــوق الشركسي في الحكم سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)[٦].

أما المماليك الشراكسة فهم عناصر قوقازية موطنهم الأصـــلي المنطقـــة الواقعة شرق البحر الأسود، وقد تعرضت بلادهم إلى غزو التتار فـــي النصـــف

(١) المنصورة: بلدة انشأها الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب بين دمياط والقاهرة سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ص ٣١٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٩.

(٢) الفارسكور: من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٢٢٨؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٣١.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج٦/ ص٣٦٤-٣٧٩.

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، ج ٢/ ص٣١٠.

(٥) المقريزي، الخطط، ج ٢/ ص ٢٣٦؛ سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ١٩.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢/ ص٢٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص٢٢١.

الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فازدادت أعـدادهم فـي أسواق الرقيق[١].

واذا ما علمنا بان السلاطين البحرية كانوا اتراكـاً فالبرجيـة شراكسـة، باستثناء اثنين منهم وهما خشقدم وتمربغا فهما روميان، وقد سموا بالبرجية؛ لأنهم أقاموا في أبراج القلعة بالقاهرة[٢]، ويرجع تكوينهم كفرقة جديدة إلى بداية حكـم السلطان المنصور قلاوون (٦٦٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) الذي أكثـر مـن شراء الشراكسة ليتخلص من صراع المماليك البحرية وليضمن الحفـاظ علـى السلطنة له ولابنائه من بعده[٣].

قام السلطان المنصور قلاوون بتربية المماليك تربية عسكرية، وحـرص على عدم مغادرتهم القلعة، أما في عهد ابنه الأشرف خليـل (٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م)، سمح لهم بالنزول من القلعة اثناء النهار فقط، وهـذا مـا أدى الى أمرين الأول: انغماسهم في الحياة العامة، والآخر: انهم لم يلبثوا أن استثاروا حقد سائر طوائف الأتراك بسبب ما اصبحوا فيه من نعمة ومكانة رفيعـة عنـد قلاوون وابنه خليل[٤]، وبعد مدة أصبحت اعداد هؤلاء الشراكسة كثيرة وغـدوا أصحاب رتب عسكرية فمنهم الأمراء والقادة وفي نهاية المطاف اسـتطاعوا ان يتسلموا السلطنة وان يحكموا البلاد[٥].

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١/ ص٤٢٠-٤٢١؛ العريني، المماليك، ص ٦٣.

(٢) فروخ، تأريخ الأدب العربي، ج٣/ص ٨٨.

(٣) المقريزي، الخطط،ج ٢/ص ٢٤١.

(٤)المصدر نفسه، ج٢ / ص٢١٣.

(٥) شاكر، التأريخ الاسلامي- العهد المملوكي،ج٧/ص ٧٠.

وأول سلاطين الشراكسة هو الظاهر برقوق(٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م)، وينسب إلى الخواجا فخر الدين العثماني أحد كبار الرقيق الذي جلبه إلى مصر(١)، وبذلك قامت دولة المماليك الشراكسة وامتدت للفترة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)(٢)، وفي السنة الأولى من سلطنته تعرض لمؤامرة حيكت لعزله وأحلال الخليفة المتوكل محله، لكنه اكتشف هذه المؤامرة، فعزل الخليفة المتوكل وأحل محله الخليفة الواثق بالله(٣)، وإن هذه المؤامرة دفعته إلى التطرف واضطهاد من يشك فيهم وبخاصة المماليك البحرية الاتراك، فطرد عدداً كبيراً منهم من وظائفهم ونفى بعضهم إلى الشام، وقد أفرزت هذه الاجراءات ثورة ضد برقوق سنة(٧٩١هـ/١٣٨٨م) قادها منطاش(٤) نائب ملطية(٥)، ويلبغا

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٤٧٣؛ المقريزي، السلوك،ج ٣/ص ٤٧٦.

(٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج ٣/ ص٤٧٧؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج ١/ ص٤٠-٤١.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر،ج ١/ ص٢٠٠-٢٠١.

(٤) هو تمربغا بن عبد الله الاشرفي المعروف بمنطاش ولاه الظاهر برقوق نيابة ملطية الواقعة الى الشمال من حلب فلم يلبث ان عصا الطاعة حتى مات قتيلاً على يد اعوان الظاهر نفسه. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٢٦٤؛ العيني، السيف المهند، ص٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص ص٣٧٣-٣٧٦.

(٥) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم بلاد الشام وحاليا تقع في تركيا . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥ / ص١٩٢.

الناصري[١] نائب حلب، وأدت بالنتيجة إلى القاء القبض على برقوق ونفيه الـــى الكرك[٢].

وبعد نفي برقوق استمر النزاع بين الاميرين منطاش ويلبغا ممـــا أعطـــى برقوقاً الفرصة لاسترداد مكانته، استطاع بمساعدة اصدقائه تحرير نفسه والهرب من سجنه من حصن الكرك وجمع جيشاً وأنزل الهزيمة بأعدائه عند صـــرخد[٣] سنة (٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م) ثم دخل القاهرة [٤].

وبذلك بدأت الفترة الثانية من حكم برقوق للمدة مـــن (٧٩٢-٨٠١هــــ/ ١٣٨٩-١٣٩٨م)، وفي هذه المدة انشغل بالقضاء على الثورات والفتن الداخليـــة، مع اجراء العديد من الاصلاحات الداخلية، فابطل الضرائب على الثمار والفواكه، في الوقت الذي كان فيه تيمورلنك يزحف على بلاد الشام، مما اضـــطر برقـــوق

---

(١) يلبغا بن عبد الله الناصري اليلبغاري توفى قتيلاً بقلعة حلب وهو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق التي خلع الملك الظاهر فيها من الملك وحبس بالكرك، وكان اصلهُ من أكابر مماليك يلبغا العمري استاذ برقوق، وتولى في ايام استاذه أمرة طبلخاناه، ثم صار أمير مائة ومقدم الف بالقاهرة في دولة الملك الاشرف شعبان. عنه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١/ ص٣٣٢ -٣٣٣.

(٢) العيني، عقد الجمان، ج ٢٤/ ص٢٨٩.

(٣) صَرخَدُ: بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة، بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٨٧.

(٤) المقريزي، السلوك،ج ٣/ ص٦٤٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٣٦٥.

لقيادة جيشه لمواجهة التتار الذين ما إن سمعوا بمسيرة الجيش المملـوكي حتـى فضلوا العودة وكفوا عن الزحف إلى أملاك الدولة الشركسية[١].

وفي سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) وقبل وفاته عهد بالسلطنة لابنه فرج الذي حكم مرتين الاولى من (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٩-١٤٠٥م) لكنـه تنـازل عـن السلطة بسبب الفتن والثورات الداخلية التي أضرم نارها الأمراء فيما بينهم بسبب اطماعهم وأحقادهم، فاتفق الأمراء على تولية أخيه عز الدين عبـد العزيـز بـن برقوق عام (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) والذي لم يحكم الإ ما يقارب ثلاثة أشهر، بسبب سيطرة الاتابك بيبرس[٢] على شؤون الحكم وهنا اتفقوا على إعـادة فـرج إلـى الحكم فعاد للمرة الثانية وحكم مـن سـنة (٨٠٨-٨١٥هـ/ ١٤٠٥-١٤١٢م)، وسادت الفتن والاضطرابات في عهده وحدث قحط عام فـي الـبلاد مصـحوباً بالوباء مما ادى الى وفاة ثلث السكان، ولكن جاءت نهايته على يد أميـرين مـن أمراء الشام هما شيخ المحمودي[٣] ونوروز الحافظي[١] اللذان تمكنا من هزيمـة فرج وإعدامه[٢].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٤٧٧؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج١/ ص٤٢-٤٤.

(٢) بيبرس بن عبد الله، السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي البندقداري، سلطان الديار المصرية، ولد سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، وأخذ من بلاده صغيراً وأبيع بدمشق، فنشأ بها عند العماد الصائغ، ثم اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، وبقي في ملكه إلى أن قبض الملك الصالح على أيدكين وصادره، وأخذ بيبرس هذا فيما أخذه منه، وأعتقه الملك الصالح نجم الدين، واستمر بيبرس على ذلك إلى أن مات الملك الصالح نجم الدين . ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٣/ص٤٤٧-٤٤٨.

(٣) شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، السلطان الملك المؤيد، سيف الدين أبو النصر الجاركسي. الرابع من ملوك الشراكسة، والثامن والعشرون من ملوك الترك، تولى

فأعُطيت بلاد الشام لنوروز، أما شيخ المحمودي فتم تعيينه سلطاناً علـــى مصر باسم (المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي) الذي حكم سنة (٨١٥-٨٢٤هـــ/ ١٤١٢-١٤٢١م)، وقد حدث نزاع بينه وبين صديقه نوروز نائب الشام، فما كان من المؤيد شيخ المحمودي إلا أن عبّأ الجند وحملهم إلى الشام، فهزمـــه وقـــبض عليه وحز رأسه ثم عاد إلى مصر، وبعدها تكررت ثورات أمراء الشـــام عليـــه فشدد عليهم وقتل منهم عدداً كبيـــراً، ثـــم مـــرض وتـــوفى ســـنة (٨٢٤هـــــ/ ١٤٢١م)[٣].

تولى السلطنة من بعده ابنه المظفر أبو السعادات أحمد ســـنة (٨٢٤هـــــ/ ١٤٢١م) والذي لم يحكم سوى ثمانية أشهر، وكان صغيراً، يبلغ من العمر ســـنة وثمانية اشهر وسبعة ايام، وبقي بالحكم تمانية اشهر، فدبر الأمـــور لـــه ططـــر الشركسي وأخذ يمهد لسلطنته من بعده وذلك بان تزوج من أم السلطان ثـــم قـــام

السلطة ٨١٥هـــ-٨٢٤هـــ/١٤١٢-١٤٢١م. ينظر: المصدر نفسه، ج٦/ ص٢٦٣-٢٦٣.

(١) نوروز الحافظي الظاهري، أول ما رقاه السلطان برقوق خاصكيا ثم أمير آخور عوضاً عن بكلمش سنة ٨٠٠هـــــ/١٣٩٧م، وكان قبل ذلك أمره رأس نوبة، ثم رام القيام على السلطان فنم عليه بعض المماليك فقبض عليه في صفر سنة ٨٠١هـــ/١٣٩٨م، وقيد وحمل إلى إسكندرية فسجن بها ثم نقل لدمياط ثم أفرج عنه في التي بعدها واستقر رأس نوبة كبيراً وصار ناظر الشيخونية وحضر قتال إيتمش، ورجع مع المنهزمين واستقر يتنقل في الفتن. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٢٠٤.

(٢) الصيرفي، نزهة النفوس، ص ٤٤؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج١/ ص٤٦.

(٣) العيني، السيف المهند، ص ٣٠٥؛ ابن اياس، بدائع الزهور،ج ٢/ ص ٢.

بخلعه بعد ذلك وظل المظفر مسجوناً حتى توفى مطعوناً وهو في العاشـرة مـن عمره[1].

وبهذا تولى الظاهر أبو الفتح ططر الظاهري الشركسي السلطنة، وهو من مماليك برقوق لكنه لم يدم في السلطنة إذ توفى في عام توليته[2].

وبعد الظاهر ططر تولى السلطنة ابنه الصالح ناصر الدين محمد بن ططر (٨٢٤-٨٢٥هـ/ ١٤٢١-١٤٢٢م) حيث بويع بالسلطنة وعمره حينئـذ إحـدى عشرة سنة فدبر له الأمر الاتابك جانبك الصوفي[3] وكان لهذا الاتابك أعداء مـن الأمراء يتزعمهم برسباي الدقماقي[4] الذي تمكن من القبض على جانبك وسـجنه بالاسكندرية، ثم خلع السلطان الصبي وتسلطن محله[5]، وبذلك تسـلم الأشـرف برسباي عرش السلطنة سنة (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م)، وقد قضى على الثورات الداخلية.

---

(١) ابن اياس، المصدر نفسه، ج٢/ ص ١٠؛ زيدان، تأريخ،ج ١/ص ٣٧١.

(٢) العيني، الروض الزاهر، ص ٣٤.

(٣) جانبك الصوفي الظاهري برقوق صاحب تلك الوقائع والحروب، فر من محبسه بالاسكندرية وأعيا السلطان، وامتحن جماعة بسببه إلى أن ظهر عند ابن دلغادر، مات في منتصف ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين واختلف في سبب قتله، وكان ظالماً عاتياً جباراً لم يعرف بدين ولا كرم. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٥٧.

(٤) الأشرف برسباي بن عبد الله، أبو النصر الدقماقي الظاهري الجاركسي، سلطان الديار المصرية، الثاني والثلاثون من ملوك الترك، والثامن من ملوك الشراكسة، أخذ من بلاد الجاركس. المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٤٥٦-٤٥٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ ص٢٥٥-٢٥٦.

(٥) الصيرفي، نزهة النفوس، ص ٥٠؛ زيدان، تأريخ، ج١/ ص٣٧١.

اما على الصعيد الخارجي فقد غزا قبرص وهزم ملكها، وبعد وفاته خلفه ابنه الملك العزيز يوسف بن برسباي سنة (٨٤١-٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) ثم خلع في العام نفسه[١]، وتولى بعده الظاهر جقمق العلائي سنة (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)، وقد همَّ الاتابك قرقماس الشعباني[٢] بأن ينقض على السلطان وينتزع منه السلطنة فوقعت بين الفريقين معركة شديدة في جهة الرميلة انهزم فيها قرقماش، وهرب ثم قبض عليه السلطان وسجنه، ثم قتله سنة(٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، وقضى على العديد من الثورات الاخرى، وبعدها عاشت البلاد في كنفه زمناً هادئاً، ثم مرض فتنازل عن العرش لابنه عثمان[٣].

لم يدم حكم عثمان طويلاً اذ تم خلعه في العام نفسه وتولى السلطنة الأشرف اينال العلائي سنة (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٣٥-١٤٦١م)، وقد ساد في عهده الهدوء وقلت خلاله الاضطرابات الداخلية لبعض الوقت، ثم اندلعت تمردات الأمراء ومنها تمرد عام(٨٥٩هـ/١٤٣٧م)، لكنه تمكن من اخمادها، ثم مرض وتنازل عن العرش لابنه أحمد سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦١م)، لكنه خلع بعد فترة قصيرة[٤].

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور،ج ٢/ص ٢٤.

(٢) قرقماس الشعباني الظاهري برقوق، ويعرف بقرقماس أهرام ضاغ يعني جبل الأهرام لتكبره. أصله من كتابية الظاهر ثم ملكه ابنه فأعتقه وعمله خاصكياً ثم صار في دولة المؤيد من الدوادارية الصغار ثم تأمر بعده عشرة ثم دواداراً ثانياً مع إمرة طبلخاناه، ثم سافر مع السلطان إلى آمد فلما رجع استقر به في نيابة حلب. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٧٦.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٢٤.

(٤) المصدر نفسه،ج ٢/ص ٣٧؛ الخربوطلي، مصر، ص ٣٢٢.

استلم السلطنة بعده الظاهر خشقدم الناصري سنة (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م)، وهو رومي اشتراه الملك المؤيد واعتقه وصار خاصكياً عنده، ثم تنقلت به الدولة الى ان جعله اينال اتابكيا لولده فخلعه بعد خمسة اشهر وتسلطن مكانه، وبدأ حكمه بالقبض على الملك المؤيد أحمد بن اينال وسجنه مع أخيه في ثغر الاسكندرية، ثم أرضى الأمراء والجند وفرق عليهم أموالاً طائلة، ومن أعماله أيضاً ارساله حملة لتأديب الفرنجة في رودس(١)، بعدها مرض في عام(٨٧٢هـ/١٤٦٧م) وتوفى في العام نفسه(٢).

تولى السلطنة بعده الظاهر بلباي المؤيدي (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) وبعد سبعة وخمسين يوماً تم خلعه. وجاء بعده الظاهر تمربغا الناصري (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، لكنه خلع بعد ان حكم المدة نفسها، ثم تولى الأشرف قايتباي السلطنة، ويُعد اكثر من حكم من المماليك الشراكسة حيث دام حكمه(٢٩) سنة من (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م)، ومن أعماله أنه أصلح بعض المساجد كالجامع الازهر، والحرم النبوي الشريف، وانشأ برجاً عظيماً يكون كالحصن لمدينة الاسكندرية(٣).

وبعد وفاة قايتباي جاء ابنه الناصر محمد سنة (٩٠١-٩٠٢هـ/ ١٤٩٦-١٤٩٧م) الذي لم يدم حكمه إلا عاماً واحداً، فجاء بعده الظاهر قانصوه

---

(١) رودس: جزيرة ببلاد الروم مقابل الإسكندرية، وهي اول بلاد الافرنجة، وهي دار صناعة الروم وبها تبنى السفن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٧٨؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج٢/ص٦٣٩-٦٤٠.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور،ج ٢/ص ٧٠.

(٣) العصامي، سمط النجوم، ج٢/ ص٣٠٣-٣٠٥.

(٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)[١]، لكنه قتل بعد ثلاثة أيام من توليه السلطنة، ثم أعيد محمد بن قايتباي للمرة الثانية (٩٠٢-٩٠٤هـ/ ١٤٩٧-١٤٩٨م)[٢] وبعد سنتين تم قتله وتسلطن الظاهر قانصوه الاشرفي (٩٠٤-٩٠٥هـ/ ١٤٩٨-١٥٠٠م) إلا أنه خلع، فجاء الأشرف جان بلاط بن يشيك الأشرفي (٩٠٥-٩٠٦هـ/ ١٥٠٠-١٥٠١م) لكنه مات مقتولاً[٣]، فتولى الحكم العادل طومان باي (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) وبعد ثلاثة أشهر مات مقتولاً فحكم بعده الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)[٤]. وقد انشغل باعتداءات العثمانيين وسلطانهم سليم وخاض معهم معركة (مرج دابق) في رجب من عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) التي انتهت بهزيمة المماليك[٥].

تولى السلطنة من بعده الأشرف أبو النصر طومان باي الثاني (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م))[٦] الذي أخذ يعد العدة للخروج لقتال العثمانيين، ووقعت (معركة الريدانية) في أواخر عام(٩٢٢هـ/١٥١٦م) التي انتهت بهزيمة طومان باي ودخول العثمانيين مصر وانهائهم حكم دولة المماليك الشراكسة، وبدء عهد الاحتلال العثماني[٧].

---

(١) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١/ ص٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٧١-٧٧.

(٣) العصامي، سمط النجوم، ج٢/ ص٣٠٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٠٧؛ سليم، الاشرف قانصوه الغوري، ص ٣٣.

(٥) الجبرتي، عجائب الاثار، ج١/ ص٦٥.

(٦) الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ص١٢.

(٧) ابن أياس، بدائع الزهور، ج٣/ص١٠١.

ثانياً : الحياة الفكرية.

شهدت مصر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ازدهاراً ونشاطاً فكرياً، بدليل كثرة المراكز العلمية والتعليمية المتعددة والمتنوعة، وكثرة العلماء، ومؤلفاتهم، وقد أثّر هؤلاء العلماء في واقع امتهم، وكان السبب في ذلك هو الأمان والاستقرار الذي وجده العلماء في مصر، وهو ما يتلائم مع توجهاتهم، لذا استقر في القاهرة ومدن مصر الأخرى الكثير من العلماء(١).

لهذا تميز هذا العصر بازدهار شتى العلوم والمعارف، ويعود ذلك الى اهتمام السلاطين المماليك للعلم والعلماء لاسيما علماء الدين حيث اشير إلى أن سلاطين العصر المملوكي أقاموا وزناً كبيراً لهم، وقد استشاروهم مراراً في أمور الدولة العليا، وسمعوا شكاواهم اذا تقدموا اليهم بها، والحقيقة أن العلماء لم يبلغوا هذه المكانة عن فراغ وانما بلغوها بسبب حاجة السلطة المملوكية لهم، اذ كلما كانوا بقربهم كلما كسبوا الرأي العام واسكتوا الاصوات المعارضه لهم(٢)، فقد ذكر أن السلطان برقوق لما أنشأ مدرسته، وقرر فيها شيوخاً يتولون التدريس كان من بينهم علاء الدين السيرامي (ت٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) الذي بالغ برقوق في تعظيمه حتى فرش له السجاد بيده(٣).

---

(١) ينظر عن العلماء الذين لجئوا الى مصر والشام. ابن حجر، الدرر الكامنه، ج١/ ص١٠-١٤، ٢٤، ٣١، ١٢١-١٣٠؛ ج٢/ ص٨، ٢٨، ٤١-٥٩؛ ج٣/ ص١٧، ٤٣، ٩٧، ١٨٠، ٢٠٣، ٢٣٤، ٢٩٠،٤٢٠ ، ٤٢٩؛ ج٤/ ص٢٧، ٤٧، ١٠٦، ١٢٨، ١٤٨، ٣٣١، ٣٤٧، ٤١٧.

(٢) سليم، عصر سلاطين المماليك ، ج٣/ص ٢١-٢٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٥٨٨؛ أبن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٢٨-٣٢٩؛ ابن العماد، شذرات، ج٧/ ص٢٨٦ – ٢٨٨.

لقد اهتم أمراء وسلاطين المماليك بإنشاء المـدارس والمراكـز العلميـة المتمثلة بالمساجد والزوايا وهذه المراكز تعد سبباً أساسياً فـي تنشـيط الحركـة العلمية لما ضمته من مدرسين وطلاب ولما يقرر فيها من دروس وهي البيئـات الطبيعية التي ينمو فيها العلم ويزدهر[١].

فالسطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هــ/١٤١٢-١٤٢٠م)، الـذي كـان يتجلى دوره في هذا المجال كما يقول السخاوي "... وكان يحب العلماء ويجالسهم ويكرمهم ويعظـم الشـعر وحملتـه "[٢]، والسـلطان الملـك الظـاهر ططـر (٨٢٤ه/١٤٢٠م)، " كان يتذوق العلوم والفنون، ومعاشرة الفضلاء والادباء " [٣].

اما الملك الظـاهر جقمـق (٨٤٢-٨٥٧هــ/١٤٣٨-١٤٥٣م) فيقـول السخاوي عنه: " ذا إلمام بالعلم واستحضار في الجملة لكثره تردده للعلمـاء فـي حال امرته ورغبته في الاستفاده ".[٤]

وكذلك من سلاطين المماليك ممن كان حريصا" على عقد المجالس العلميـة والأدبية في بلاط ملكه، فالملك الأشـرف برسـباي (٨٢٥-٨٤٢هــ/١٤٢١-١٤٣٨م):" كان يحب الاستماع الى العيني في مجلسه وهو يقرأ عليـة التـاريخ التركي وقصصه باللغه العربية ثم يفسر له ذلك ، وذلك لمعرفـه العينـي كلتـا اللغتين..."[٥].

---

(١) سليم، عصر سلاطين المماليك ، ج٣/ص ٢١-٢٧.

(٢) الضوء الامع ، ج٣/ص٣٠٩.

(٣) العيني، الروض الزاهر ، ص٢١؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٤/ص٢١٠.

(٤) الضوء اللامع ،ج ٣/ص٧٢.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج ١٦/ص٩-١٠.

وهناك البعض من السلاطين المماليك اتجهوا إلى الاشتغال بالعلم بعد عزلهم من مناصبهم، واهتموا بمختلف فنونه ومنهم الملك العزيز يوسف بن برسباي (٨٤١-٨٤٢هـ/١٤٣٧-١٤٣٨م)[١] ، الذي يقول عنه السيوطي " ثم خلع في السادس عشر من ربيع الاخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وسجن بالإسكندرية ، ونظر في فنون العلم والادب"[٢] ، وكذلك السلطان المملوكي احمد بن إينال العلائي (٨٦٥هـ/١٤٦٠م)[٣]، الذي خلع في السابع عشر من رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ونقل الى الاسكندرية واشتغل بالعلم مدة اقامته بها[٤].

وفي السياق ذاته يجد المتتبع للنشاط العلمي في هذا العصر نفسه أمام ثروه علمية واسعه تتمثل في تلك المجموعة الكبيرة من العلماء الذين برزوا في تلك المدة في شتى فروع العلم والمعرفة لعلماء وأدباء ومفكرين كان لهم أثر كبير في الحركة الفكرية ، ويقف في مقدمتهم القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صاحب

---

(١) يوسف بن برسباي الدقماقي، السلطان الملك العزيز أبو المحاسن بن السلطان الملك الأشرف أبي النصر، ولد سنه ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وولي السلطنه في سنه٨٤١هـ/١٤٣٧م، ثم خلع، مات في سنه ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م. ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص١٧٩.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) احمد بن اينال العلائي، الملك المؤيد ابو الفتح بن الملك الأشرف، ولد بعد سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٥م، تولى السلطنه أثناء مرض ابيه في سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م، ثم خلع منها وكانت أيام سلطنته في غاية الحسن، توفى سنه ٨٩٣هـ /١٣٩١م، السيوطي، نظم العقيان ، ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٠.

المؤلفات المتعددة[١]، وتقي الدين المقريزي (٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م) مؤرخ الديار المصرية[٢]، وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الذي كان من أعلام مصر المشهورين وإمام عصره و وحيد دهره[٣]، والعيني (ت ٨٥٥ه/ ١٤٥١م) الذي كان له معرفه عالية في علوم مختلفه[٤]، والمؤرخ ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) الذي يعد بحق مؤرخاً للمماليك من خلال مؤلفاته العديدة في هذا المجال[٥]، وكذلك خلف لنا السخاوي(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، أبرز موسوعة تاريخيه في بيان الحالة العلمية في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي والمتمثلة في كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)[٦].

وبهذا يمكننا ان نلخص عدة عوامل وقفت وراء ذلك النشاط الفكري في تلك الفترة:

- ❖ الخطر المغولي الذي امتد من اواسط اسيا إلى شمالها مكتسحاً ما امامه من بلاد المسلمين، واثخن في ارضهم وقتل كثيراً من اهلها، وآتى خراسان ما تقشعر منه الابدان[٧]، ثم وصل الى العراق[٨]، ومنها الى بلاد الشام التي

(١) السخاوي، الضوء اللامع ،ج ٢/ص٨ ، ج٦/ص٣٢٢.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١ /ص٣٩٤؛ السخاوي، المصدر نفسه، ج٢/ص٢١.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع ، ج٢/ص٣٦-٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠/ص١٣٢-١٣٣.

(٥) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢/ ص٨٠؛ ضاحي، كتاب النجوم الزاهرة، ص٧٨.

(٦) ابن العماد، شذرات الذهب ،ج ٧/ص٣١٧ .

(٧) أبن الاثير، الكامل في التأريخ، ج١٢/ ص٣٩٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٥١٨.

(٨) أبن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص ٢٠٠؛ الغساني، العسجد المسبوك، ج١/ ص٦٣٠.

لبثت مسرحاً للنزاع بين التتار والمماليك، فكان لابد للمسلمين من ان يلتفوا حول المدافعين عنهم من سلاطين المماليك ملتمسين فيهم الزعامة التي تدافع عنهم، وكانت من اهم وسائل تدعيم الملك، احياء العلوم والمعارف فأجتهد في ذلك علماء المسلمين[١].

- ❖ غيرة السلاطين والامراء على الدين الاسلامي، وقد تجلت الغيرة الدينية عند السلاطين فيما أفاضوا من معونة وما بذلوا من رعاية للبيت الحرام وسكان الحجاز ولغيرهم من اهل البلاد الإسلامية القريبة والبعيدة[٢].
- ❖ انهاء الخلافة العباسية، بعد قتل الخليفة العباسي المستعصم بالله من قبل التتار، وقد اصابها الوهن والضعف، وبهذا فقد تطلع المسلمون الى احياء خلافة جديدة، تعيد السيرة في جمع القلوب وفي الرمز إلى الصلة الدينية، فكان طبيعياً ان تتطلع نفوس اهلها إلى اعادة هذا الرمز الروحي الجليل، فأسسها الظاهر بيبرس سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦١م) وذلك بعد أن لجأ الخليفة العباسي (المستنصر بالله ابو القاسم أحمد بن الظاهر) إلى الظاهر بيبرس من بغداد[٣]، ولولا زوال خلافة بغداد، وتجديدها بمصر كان له اثره في الحركة الفكرية[٤].
- ❖ قتل العلماء واتلاف الكتب العلمية والأدبية، قتل التتار كثيراً من علماء المسلمين، واتلفوا كثيراً من دور الكتب العامة والخاصة، وهنا ما كان من

---

(١) سليم، عصر، ج ٣/ص ١٧.

(٢) سليم، عصر، ج٣/ ص٢٠-٢١؛ فليح، التعليم في ظل دولة المماليك، ص ٣٨٤.

(٣) أبن كثير، البداية، ج ١٣/ص ٢٣١؛ باشا، تقويم، ج ١/ص ١٥٥.

(٤) سليم، عصر، ج٣/ص ٢٠.

العلماء الا الاستقرار في كنف سلاطين مصر الذين لقوا في جوارهم الامن والسلامة والعيش الهادئ[1].

- تعظيم سلاطين مصر للعلم والعلماء، والحقيقة ان العلماء لم يبلغوا هذه المكانة عن فراغ وانما بلغوها عن تفقه في الدين وتعمق في العلم وتمسك بالزهد والورع والثبات على الرأي اذا ما وجد فيه الصواب، فقد ذكر ان السلطان برقوق لما انشأ جامعه وقرر فيه شيوخاً يتولون التدريس كان من بينهم علاء الدين السيرامي (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) الذي بالغ برقوق في تعظيمه حتى فرش له السجاد بيده، اما السلطان المؤيد شيخ المحمودي لما انشأ جامعه وقرر فيه عدداً من المدرسين كان من بينهم شهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) حيث جاء اليه السلطان ليستمع دروسه فلما اقبل همّ ابن حجر بالقيام للسلطان فمنعه المؤيد من القيام فلم يقم، وغيرها من الامثلة التي تؤكد على مكانة العلماء عند السلاطين[2].
- وفود العلماء والأدباء إلى مصر والشام ساعد على تزعمها حركة الاحياء العلمية، هي كثرة من امها من بني الاقطار الإسلامية الاخرى سواءً اكانوا فارين من وجه الطغيان والظلم، ام كانوا طامعين في كرم مصر وحسن وفادتها، وبين هؤلاء وهؤلاء علماء فضلاء وأدباء اجلاء، افادت مصر والشام منهم الخير الكثير والنفع الجم بما نشروا والفوا وبما علموا من ناشئين[3].

---

(١) سليم، عصر، ج٣/ص ١٧-١٨.

(٢) سليم، عصر، ج٣/ص ٢١-٢٧؛ فليح، التعليم، ج١٠/ص ٣٨٩.

(٣) سليم، عصر، ج ٣/ص ١٨.

❖ شعور العلماء بواجبهم في نشر الدين وتجديد العلم ولاسيما بعدما اصاب العالم الاسلامي نكبات وكوارث تمثلت باحتلال المغول لبغداد والغزوات الصليبية التي باتت تهدد العالم الاسلامي وما استشرى عن ذلك من خطر الوثنية والنصرانية، عندها شعر العلماء بهذه المسؤولية، ورهبتها فامتلأت قلوبهم حماسة وفاضت نفوسهم تحفزاً إلى القيام بالواجب الذي هيأته لهم الاقدار والاضطلاع بالمسؤولية التي اختارتهم العناية لادائها فقاموا بذلك قياماً مشكوراً وسعوا اليه سعياً محموداً(١).

❖ عناية السلاطين باللغة العربية لانها لغة الاسلام والقرآن من ناحية ولعجز لغتهم التركية او الجركسية عن اداء ما يتطلبه هذا الملك الواسع من ضبط وامن وربط ونشر تعليمات وبعث مراسلات وكتابة تقاليد وقضاء وتشريع من ناحية اخرى ولان السكان الذين يحكمونهم سواءاً في الشام ام في مصر كانوا يتكلمون العربية(٢).

❖ انشاء دور التعليم الذي يعد سبباً اساسياً وحيوياً في تنشيط الحركة العلمية لما ضمته من مدرسين وطلاب ولما يقرر فيها من دروس وهي البيئات الطبيعية التي ينمو فيها العلم ويزدهر وتتمثل دور العلم في هذا العصر بالمدارس والجوامع وما شيد من خوانق وأربطة وزوايا كما سيمر ذكره لاحقا(٣).

وبهذا نجد أن عصر المماليك لم يكن عصر خمول، وانما كان عصر علم وفن وأدب عصر نتاج العلماء والفقهاء والقادة، عصر ازدهرت فيه الحركة

(١) سليم، عصر، ج ٣/ص ٢٦.

(٢) سليم، عصر، ج٣/ص ٢٧.

(٣) سليم، عصر، ج٣/ص ٢٧.

العلمية ازدهارا فأصبحت البلاد محورا للنشاط العلمي، خاصة بعـد أن أصـابت بلاد الشام أضرار على يد المغول.

الفصل الاول

المكانة العلمية لابن حجر

اولاً: سيرته:

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد، المعروف بابن حجر الكناني العسقلاني الشافعي[١] ، ولد ابن حجر في الثاني عشر شعبان سنة ٧٧٣هـ/١٣٧١م بمصر[٢]، ونشأ بعد أن مات والده وهو طفل في شهر رجب سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م، في كنف أحد أوصياء والده الزكي الخروبي، كما يقول عنه: "وقد حجّ غير مرة وجاور، وكنت رفيقه في المجاورة وأنا صغير؛ لأن أباه كان قد أوصاه عليَّ، فرجعت معه في أول سنة سبعمائة وست وثمانين"[٣]، فأدخله الكتاب[٤]، بعد إكمال خمس سنين[٥]، وكانت لديه قدرة على حفظ القران الكريم والحديث النبوي الشريف[٦]، وهذا له أثره فيما وصل إليه ابن حجر من علو شأنه ورفعة ذات قيمة علمية عالية بين أقرانه.

---

(١) الاسنوي، طبقات الشافعية، ص١٠٨؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر،ج٣/ ص١؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ص٧٦؛ الشوكاني، البدر الطالع ، ج١/ ص٨٨؛ عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي، ص١٩٧.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة،ج٢/ ص٤٥٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص٢١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٣٦.

(٣) ابو بكر علي بن محمد بن علي التاجر الكارمي، زكي الدين الخروبي، كان اصله من رحبة الخروب بمصر، سمع منه ابن حجر، توفى اوائل المحرم سنة ٧٨٧هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٥٣٨-٥٣٩.

(٤) المكان الذي يتم فيه تعليم الصبيان الخط. ينظر: السيوطي، لب اللباب في تحرير الانساب، ص٢٥٢.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٦/ص٢٦٧.

(٦) المصدر نفسه،ج٦/ص٢٦٧.

ثانياً: ثقافته:

يعد ابن حجر من أبرز أعلام القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقد أهله هذا الأمر لما كان يتمتع به من سعة الاطلاع على مختلف العلوم والمعارف الاسلامية آنذاك، واجتمع لابن حجر من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، فكان لكل واحد منهم اتجاه علمي أثّر في بناء شخصيته العلمية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: البرهان التنوخي (ت٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م)، أخذ عنه القراءات[١]، والزين العراقي (ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م) أخذ عنه علوم الحديث[٢]، والمجد الشيرازي (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م) في اللغة[٣]، والعز بن

---

(١) ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعد بن علوان بن كامل التنوخي، ولد بدمشق سنة ٧٠٩هـ، ينظر: ابن الجزري، شمس الدين ابي الخير محمد بن احمد، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره برجستراسر،القاهرة(بولاق) ج١/ص٥٢؛ ابن حجر، انباء الغمر،ج٢/٢٢-٢٣.

(٢) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن ابي بكر بن ابراهيم، ولد في سنة ٧٢٥هـ، بمنشأ المهراني بين القاهرة ومصر. ينظر: المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت٨٤٥هـ) السلوك ، ج٣/ص٨٢١؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج٤/ص١٧١-١٧٨.

(٣) محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازي مجد الدين ابو طاهر الفيروزابادي، ولد بمدينة كازرون سنة ٧٢٩هـ، لقيه ابن حجر في رحلته الى اليمن واخذ عنه. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج١/٢٧٣-٢٧٥.

جماعة (ت٨١٩هـ/ ١٤١٦م) الذي اخذ عنه علوم مختلفة[1]، وغيرهم من العلماء[2].

ثالثاً: مؤلفاته:

حصل ابن حجر على شهرة واسعة، إذ يعد واحداً من المؤلفين والمصنفين الذين عرفوا بغزارة النتاج العلمي، وبلغت مصنفاته في الحديث والتفسير والفقه، نحو مائة وخمسين مصنفاً، وكان من أشهرها كتاب "فتح الباري بشرح البخاري"[3]، ووضع كُتباً عديدة في الحديث والفقه وعلوم والقرآن، ومن ذلك كتاب "الاتقان في فضائل القرآن" و"لسان الميزان"[4] و"بلوغ المرام بأدلة الأحكام" و"تهذيب التهذيب"[5]، و"شفاء الغلل في بيان العلل" و"الآيات النيرات في معرفة الخوارق والمعجزات"، و"الخصال المكفرة للذنوب" و"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"[6]، و"رفع الاصر عن قضاة مصر" و"الإصابة في تمييز الصحابة"[7]. وغيرها مما يضيق المقام بذكرها.

---

(١) محمد بن ابي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة، ولد في ينبع سنة ٧٤٩هـ، لازمه ابن حجر من سنة ٧٩٠هـ الى ان مات، وحصل على الاجازات له ولأولاده. ينظر: المقريزي، السلوك،ج١٤/ص١٤٣-١٤٤.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٨-١٩؛ السيوطي، نظم العقيان، ص٤٥.

(٣) السيوطي، المصدر نفسه، ص٤٦.

(٤) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٤؛ السيوطي، المصدر نفسه، ص٤٧.

(٥) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٤. السيوطي، المصدر نفسه، ص٤٧.

(٦) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٥.

(٧) السيوطي، نظم العقيان، ص٤٧.

رابعاً: منهجه في النقد التاريخي:

لم يكن ابن حجر جامع للأخبار فقط، وإنما اهتم بانتقاء المادة التاريخية وبنقدها، وقد جمع بين منهج علماء الحديث ومنهج المؤرخين في النقد.

ان من يرقب مؤلفاته يرى انها قد احتوت من المعلومات والأحداث الشيء الكثير، لكنها انطوت أحياناً على التناقض والازدواجية في الطرح، او المجازفة بحيث يصعب ان تطمئن لما روته ودونته من غير بحث وتدقيق، وبهذا نجد أن منهجة يتمثل في ذكر كل ما يقال بغض النظر عن مدى موافقته لواقع الحال باعتباره أمانة علمية لكن ذلك أسهم في هذه الاشكالية.

ويظهر الجانب النقدي لديه عندما يعلن عن تفضيله لبعض الروايات على غيرها، وفي ترجيحه الروايات التي يراها جديرة بالترجيح، وفي رفضه لبعض هذه الروايات، والتي كانت تحمل في طياتها السرد الخرافي الاسطوري الذي لم يقبله العقل ولا المنطق، وكان إعلانه عن رأيه في الروايات مقتضبا، وفي بعض المواقف يتخذ من الروايات موقفا حياديا، فيتجنب نقدها، تاركا للقارئ مهمة الاختيار لما يراه، إضافة إلى ذلك نجده ينتقد ما جاء من أخطاء في الأسماء وتواريخ المواليد والوفيات، الامر الذي يدل على رجاحة عقليته وعلو ملكة النقد التاريخي عنده.

اقتصر منهج ابن حجر على ذكر أعدل ما قيل في وصف المترجم له، فضلاً عن سلوكه منهج التوافق بين الروايات التي تتعارض في بَيان حال المترجم له، لهذا يُعد مَنهجهُ منهج الشخص الناقد الصَريح في إصَدار حكمه بخصوص صاحب الترجمة، فبعد ذكر الترجمة، يذكر المصدر الذي أخذ منه المعلومة جاعلا العهدة على ذلك المصدر، أضف الى ذلك اعتماده وتركيزه على

المصادر الأساسية، والأخذ منها مباشرة، والإشارة إليها، وكذلك تميزهِ عن كثيــر من الباحثين والناقدين في نقل آراء المؤيدين والمعارضين في المترجم له[١].

فكان موارده في نقل الروايات التاريخية من المصادر التي يكون صاحبها من الثقات، فإن كان غير ذلك فإنه يذكر الرواية قرينة بمصدرها جاعلا العهــدة فيه على المصدر، نحو قوله في ترجمة أبي يزيد الردمــاوي الزبيــدي: "نقلــت ترجمته من خط الشيخ تقي الدين المقريزي والعهدة فيه عليه"[٢]، ومما أورده في ترجمة بابن الوزان الأشموني[٣]: "نقلت ترجمته من خط أحمد بــن يحيــى بــن عساكر من معجم شيوخه"[٤]، وقوله بخصوص انقلاب عابث بإمام جماعة وهــو يصلي إلى خنزير، ضمن حوادث سنة (٧٨٢هــ/ ١٣٨٠م): "قرأت بخــط ابــن دقماق... وأنه ممن شاهد ذلك"[٥].

---

(١) عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي، ص٤١٥-٤١٨.

(٢) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٣٧٨.

(٣) أحمد بن أبي العز بن أبي المكارم بن سليمان الأشموني المعروف بابن الوزان الملقب شرف الدين كان أبوه يباشر في الديوان، وكذلك أخواه وكانت لهم وجاهة فتركها شرف الدين المذكور وسكن القاهرة، وانقطع الكاملية وكان نظيف الثوب حسن السمت قليل الكلام وسمع من القطب القسطلاني ولازمه مدة وسمع أيضاً من ابن فارس والعز الحراني وابن خطيب المزة ثم انتقل إلى بلده الأشمونين، وانعزل عن مخالطة الناس مع ملازمة الصلاة في الجماعة في أول الوقت وحدث في سنة ٧٠١هــ، وبعدها واستمر على حالته إلى أن مات وقد جاوز السبعين. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٦٦.

(٤) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٦٦.

(٥) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٧٦.

كما يتضح عدم اقتناع ابن حجر ببعض الروايات، فينسبها الى اصحابها من مصادره، كقوله: "قاله ابن حبان في الثقات"(١)، "قاله بن الكلبي"(٢)، "كذا قاله ابن المنادي في الوفيات"(٣). ومن هذا النقد نجده في ترجمة اسحاق بن سليمان بن ابي سليمان الشيباني، فعند ذكره للرواة فيحيل ذلك على المصدر بقوله: "روى عن أبيه روى عنه أبو أسامة وعقبة بن المغيرة قاله البخاري وتبعه ابن أبي حاتم وذكره ابن حبان في الثقات وزاد في الرواة عنه المسعودي"(٤). وفي ترجمة حبة بن خالد اخو سواء الاسدي، يورد خبر ان لهما حدبث عن النبي محمد(ﷺ) في عدم اليأس من الرزق رواه الاعمش عن سلام ابي شراحيل، فيعلق على ذلك قائلاً: "قلت لم يروه عنهما غيره فيما قاله الأزدي"(٥). وغيرها من المواضع.

او يستخدم عبارة "زعم"، كقوله: "زعم ابن حبان"(٦)، "زعم بن أبي حاتم"(٧)، "زعم خليفة بن خياط"(٨). ومن الامثلة على ذلك ما نجده في ترجمة ضميرة الضمري ويقال السلمي، فيضعف تلك الرواية عن ابن حبان قائلاً : "قلت

---

(١) تهذيب التهذيب ، ج١/ ص١٥٥.

(٢) تهذيب التهذيب ، ج٢/ ص١٣٩.

(٣) الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٥٣.

(٤) الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٣٥.

(٥) تهذيب التهذيب ، ج٢/ ص١٧٧.

(٦) تهذيب التهذيب ، ج١/ ص٤٠٦

(٧) تهذيب التهذيب ، ج٦/ ص٣٠.

(٨) تهذيب التهذيب ، ج٧/ ص٢٣٧.

زعم ابن حبان أنه جد حسين بن عبد الله بن ضميرة وليس كذلك بل هو غيره"[١].
وايضا في ترجمة عبد الله بن مسلم الطويل صاحب المصاحف، فيصحح ما جاء عند ابن ابي حاتم قائلاً: "زعم بن أبي حاتم أن قول البخاري فيه صاحب المقصورة خطأ وإنما هو صاحب المصاحف"[٢].

ونجد منهجه في استقصاء المعلومة، فلم يكتفي بذكر مصدر تلك المعلومة، وانما يشكك بها، ويعطي اشارة للباحث والقارئ بانه لم يتأكد من صحتها، وهذه هي الامانة العلمية، وهذا ما نجده في ترجمة بكار بن يحيى، الذي روى عن جدته عن ام سلمة وعنه عبد الرحمن بن مهدي، فيورد ما ذكره ابن حبان في الثقات انه روى عن سعيد بن المسيب وعنه الفضل بن سليمان النميري، وينهي تلك الرواية بقوله: "فلا أدري هو ذا أو غيره"[٣].

ونجد كذلك ينقد ويصحح ما جاء بتراجم مصادره، وهذا ما نجده في ترجمة حكيم بن قيس بن عاصم المنقري التميمي، فنجده يصحح ما اورده ابن حبان قائلاً: "وقال روى عنه مطرف وقتادة وهو خطأ من بن حبان وإنما روى قتادة عن مطرف عنه وذكره بن مندة في الصحابة وكذا أبو نعيم"[٤].

كما قام ابن حجر بتصويب اخطاء مصادره اثناء النقل، كما في ترجمة الحسن بن عطية بن نجيح القرشي(ت ٢١١هـ) "وضعفه الأزدي فأظنه اشتبه

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٤/ ص٤٦٤.

(٢) تهذيب التهذيب، ج٦/ ص٣٠.

(٣) تهذيب التهذيب، ج١/ ص٤٧٩.

(٤) تهذيب التهذيب، ج٢/ ص٤٥١.

عليه بالذي قبله"[١]. وفي ترجمة العلاء بن خالد القرشي : "قال بن شاهين في الثقات قال يحيى ليس به بأس كأنه اشتبه على بن شاهين بالذي قبله"[٢].

أما إذا كان المصدر الذي نُقل منه محايداً للمترجم له لا ينقل عنه، فإن اضطَر في الاعتماد عَليهِ، يَكشف ذلك المصدر لِكي تَكون العُهدة على ذلك المصدر، ومن أمثلة ذلك ما فعله مع بدر الدين العيني في ترجمة يشبك بن ازدمر(ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)[٣] قوله: "كان مشهورا بالشجاعة والفروسية، وقال العينتابي: كان ظالما لم يشتهر عنه خير، كذا قال، وقد باشر نظر الشيخونية، ورأيت أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر منه"[٤]، وقولهِ في ترجمة دمرداش المحمدي الظاهري (ت ٨١٨هـ/ ١٤١٥م)[٥] "كان دمرداش مهيباً عاقلاً مشاركاً

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٢/ ص٢٩٤.

(٢) تهذيب التهذيب، ج٨/ ص١٨٠.

(٣) يشبك بن إزدمر الظاهري برقوق، ولد ببلاد جركس وقدم مع أبيه فاشتراهما الظاهر في أول أمره وقدم والده ثم عمل ابنه خاصكياً إلى أن أظهر في وقعة تمر من الشجاعة والإقدام ما اشتهر وحمل بعد قتل أبيه في المعركة إلى تمر وبه نيف عن ثلاثين جرحاً ما بين ضربة سيف وطعنة رمح فأعجبه وأمر بمداواته والتلطف به حتى تعافى فاحتال حتى فر وعاد إلى الناصر فعمله أمير عشرة ولا زال حتى قدمه وعمله رأس نوبة النوب ثم ولي نيابة حماة ثم حلب في أيام نوروز الحافظي لأنه كان من حزبه إلى أن ظفر بهما المؤيد فقتلهما مع غيرهما. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص١٥٧.

(٤) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤١٩.

(٥) دمرداش المحمدي الظاهري، كان من قدماء مماليك الظاهر، ولما جرت فتنة منطاش كان خاصكيا، وكان معه في الوقعة ففر مع من انهزم إلى حلب، فلما استقرت قدم الظاهر في السلطنة حضر فولاه نيابة طرابلس، ثم نقله إلى الأتابكية بحلب فأقام مدة، ثم ولاه نيابة حماة، ثم مات الظاهر وهو نائبها فحاصره تنم لما أراد أن يتسلطن فأطاعه ووصل

في عدة مسائل كثير الإكرام لأهل العلم والعناية بهم، اجتمعت به فوجدته يستحضر كثيراً من كلام الغزالي وغيره، قال القاضي علاء الدين الحلبي في تاريخه: كان لا يواجه أحدا بما يكره، وقد بنى جامعا بحلب ووقف عليه أوقافا كثيرة، وله زاوية بظاهر طرابلس لها أوقاف كثيرة، وهذا بخلاف قول العينتابي: ليس له معروف"[١].

يبدي ابن حجر تعجبه من مصادره باستخدام بعض العبارات، كقوله: "فما أدري هو هذا أو غيره"[٢]، او قوله: "وهذا وهم وتصحيف"[٣]، او قوله: "أخشى أن يكون تصحف"[٤]، ففي ترجمة أبو سعيد الأنصاري، ينتقد ابن حجر ابن ابي حاتم الذي سال ابيه عن صاحب الترجمة فقال: "سألت عنه أبي فقال ما أرى بحديثه بأسا"[٥]. فيصحح ابن حجر هذه الرواية مع الاخذ برأي المزي قائلاً: "قال

صحبته إلى غزة ففر إلى الناصر، فولاه نيابة حلب، ثم عمله المؤيد أتابك الديار المصرية، ثم ولي بعده حلب أيضاً وآل أمره إلى أن طلبه ابن أخيه قرقماس، وقتل باسكندرية في المحرم سنة ثمان عشرة. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤٣١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص١٢٠.

(١) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤٣١.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٢/ ص١٠٨.

(٣) المصدر نفسه ، ج١/ ص٤٧٠.

(٤) المصدر نفسه ، ج١/ ص٤٢١ ؛ ج٣/ ص٣٢.

(٥) المصدر نفسه ، ج١٢/ ص١٠٨.

المزي فما أدري هو هذا أو غيره"[١]، ومن ثم يعطي رايه بصورة قطعية قائلاً: "هو غيره جزماً"[٢].

بعد البحث في المصادر وجدنا ان ما جاء به ابن حجر هو الراي الصائب وان المقصود من كلام ابن ابي حاتم ليس ابو سعيد، وانما هو عمر بن حفص ابن عمر بن ثابت أبو سعد الأَنصاري، وقد ذكرته اغلب المصادر[٣].

وهذا ما نجده في ترجمة سليمان بن عطاء بن قيس القرشي، فينتقد ابن حجر ما ذكره البخاري وابن حبان حيث اوردا رواية مفادها ما نصه: "سليمان بن عطاء يروي عن عبد الله بن الزبير وعنه صفوان بن سليم فيحتمل أن يكون هو ويحتمل أن يكون غيره"[٤]. وبعد ان ينتقد يصحح تلك الرواية بقوله: "قلت هذا غيره قطعا وصاحب الترجمة قد ذكره ابن حبان في الضعفاء فقال شيخ يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي أشياء موضوعة لا تشبه حديث الثقات قلت لا أدري التخليط فيها منه أو من مسلمة وذكره البخاري في فصل من مات من التسعين إلى المائتين وقال أبو حاتم منكر الحديث يكتب حديثه"[٥]. ونلحظ من النص السابق ان ابن حجر قد اشارة الى قضية مهمة وخطيره وهي ان ابن حبان ذكر صاحب الترجمة واعده من الثقات

---

(١) المصدر نفسه ، ج١٢/ ص١٠٨.

(٢) المصدر نفسه ، ج١٢/ ص١٠٨.

(٣) البخاري، التاريخ الكبير، ج٦/ ص١٤٩؛ البغوي، معجم الصحابة، ج٤/ ص١٧٢؛ ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج٦/ ص١٠٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٣٣/ ص٣٥٢.

(٤) تهذيب التهذيب، ج٤/ ص٢١١.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب ، ج٤/ ص٢١١.

في كتاب الثقات، ومن الضعفاء في كتاب الضعفاء، فضلا على ابداء تعجبه من ذلك.

وكذلك نلحظ انه استخدم عدة الفاظ منها(قيل) او(يقال) تعبيرا عن تشكيكه في الرواية غير الصحيحة، ومن ثم يعقبها بذكر الرواية الاصح والمعتمدة وعبروا عنها بقول(وهو المعتمد)[١]، فضلاً عن ذكر السبب من وراء تلك الرواية الضعيفة، وهذا نجده في ترجمته للشيخ نجم الدين أحمد ابن الرفعة(ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)[٢] اذ قال: " يقال أنه كثير النقل غير قوي البحث"[٣]. وبعدها صرح بالسبب من وراء هذه الرواية الغير الصحيحة، وأنه من كان ينسبه الى ذلك من يحسده كالسراج الأرمنتي[٤] والوجيه البهنسي[١][٢]، ومن ثم يؤكد رأيه قائلاً: "

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٠، ص١٣٨، ص٣٠٦، ص٣٥٧، ج٢/ ص١٨٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٤٣،ج٢/ ص٢٠٣، ج٣/ ص٣٥٠، ص٤٦٣، ج٤/ ص٩٠، ص٢٤٧، ص٤١٢، ج٥/ ص٢٦٢.

(٢) أحمد بن محمد علي بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس المصري الشافعي الشيخ نجم الدين ابن الرفعة، ولد سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٨م وأخذ الفقه عن الضياء جعفر ابن الشيخ عبد الرحيم القنائي والسديد الأرمنتي وابن بنت الأعز وابن دقيق العيد وغيرهم، واشتهر بالفقه إلى أن صار يضرب به المثل، وله تصانيف مثل النفائس في هدم الكنائس وحكم المكيال والميزان وولي حسبة مصر مدة وناب في الحكم مدة ثم عزل نفسه . ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٨٤-٢٨٥.

(٤) يونس بن عبد المجيد بن علي بن داود الهذلي القاضي سراج الدين الأرمنتي ولد بأرمنت سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٧م، وسمع من الرشيد العطار وعمر بن يونس العامري والمجد ابن دقيق العيد وأجازه، وتفقه على الظهير التزمنتي، وحدث وأفتى، وكانت وفاته سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م . السبكي، طبقات الشافعية، ج١٠/ ص٢١٧.

فإنني حضرت درسه فسمعت مباحثه فائقة وقد شرح التنبيه وسماه الكفاية فأجاد فيه وشرح بعده الوسيط شرحاً حافلاً مشتملاً على نقول كثيرة وتخريجات واعتراضات تشهد بغزارة مواده وسعة علمه وقوة فهمه "(٣).

ونفهم من هذا ان ابن حجر لم يُطلق حكمه النقدي جزافًا، بل كان على علم ودراية مباشرة بالشخص المنتقد، فيُصدر حكمه بناءً على معرفته الشخصية واطّلاعه على مكانته العلمية من دون التعويل على آخرين.

وكذلك نُلاحظ أن ابن حجر لم يتقبل كل ما مَدتهُ من نصـــوص تاريخيـــة على أنها من قبيل المُسَلمات، التي لا يمكن ردها أو مناقشتها، وإنما كان يَستخدم عقلهُ في مُناقشتِها.

ومن أمثلة ذلك ما ذُكِر بِخصوص الحرب المغولية ما نصه: "يقال إنه كان في عسكره عابد يقال له بركة، فلما رأى تيمورلنك الهزيمة تمسك به فصاح على عسكر طقتمش خان فانهزموا، ويحتمل أن يكون هذه من وضع بعض من يتعصب، ويحتمل الصحة ليقضي الأمر المقدور، إنما نملي لها ليزدادوا إثماً"(٤).

---

(١) عبد الوهاب بن الحسن قاضي القضاة وجيه الدين البهنسي المصري ولي قضاء مصر والقاهرة بعد موت القاضي تقي الدين ابن رزين في رجب سنة ثمانين ثم أخذ منه قضاء القاهرة والوجه البحري، واستمر الوجيه حاكماً بمصر والوجه القبلي إلى أن توفى ٦٨٥هـــ/ ١٢٨٦م. ينظر: ابن قاضي شهبة، تاريخ بن قاضي شهبة ، ج١/ ص١٠٦.

(٢) الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٨٤-٢٨٥.

(٣) الدرر الكامنة،ج١/ ص٢٨٤-٢٨٥.

(٤) الدرر الكامنة، ج١/ ص٥.

وقوله في حوادث سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٤م) بِخُصوص تَبليغ إحَدى البِشارات للسُلطان الظاهر برقوق الذي حَكم المدة الأولى(٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٩م) المدة الثانية(٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٣٩٩م)[(١)]: "خرج إلى السلطان وهو معسكر ظاهر القاهرة شخص يقال له أحمد بن عباس الحريري، فذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً في المنام وأنه قال له: رح إلى برقوق وقل له إنك منصور بأمارة أنك تقرأ سورة الفاتحة على أصابعك العشرة عشر مرات عند الركوب ثم تقول: " إن ينصركم الله فلا غالب لكم "، فصدق الأمارة وبكى وأمر للرأي بمال فلم يقبل منه إلا نذراً يسيراً، والذي يظهر لي كذب هذا الرأي، وكأنه بلغ الأمارة من بعض خواص السلطان المطلعين على سره، وإلا فلو كان صدقاً لكان قد انتصر، والواقع أنه لم يقع له قتال مع أحد"[(٢)].

ومن الامور التي تجلب الانتباه عند ابن حجر، هي ترجيح الروايات ولكن هذا الترجيح غير مؤكد بالنسبة الى المؤرخ، كنحو قول ابن حجر في ترجمته لأحمد بن يوسف الماريني المعروف بابن خطيب (ت ٧٧١هـ/١٣٧١م)[(٣)]،

---

(١) برقوق بن آنص، السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق العثماني اليلبغاوي الجاركسي، سلطان الديار المصرية، القائم بدولة الجراكسة، جلبه خواجا عثمان من بلاده، وكان اسمه ألطنبغا، وقيل سودون. فلما اشتراه الأتابك يلبغا العمري الخاصكي سماه برقوقا لنتو في عينيه. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٣/ ص٢٨٥-٢٨٦.

(٢) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص١٧٧.

(٣) أحمد بن يوسف بن أحمد الماريني المعروف بابن خطيب الموصل قال ابن حبيب كان ينظم ويعرف العروض وكان يتردد في بلاد الشام ويمدح الأعيان ويكتب الخط الحسن ومات بحماة. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٣٨.

"ومات بحماة في سنة ٧٧٠هـ وهو ابن ستين وأرّخه شهاب الدين ابن حجي[١] سنة ٧٧١هـ /١٣٧١م وهو الصواب والأول من غلط النسخة فالله أعلم"[٢]. أي من اخطاء النساخ.

فابن حجر لم يكن ناقلاً للنص فقط، وانما ناقداً، وهو الترجيح لما يراه صحيحاً، كما جاء في ترجمة الحارث بن سعيد، فيرجح الراي الاول بقوله: "الحارث بن سعيد ويقال بن يزيد العتقي المصري ويقال سعيد بن الحارث والأول أصح"[٣]. وفي ترجمة سعد بن عمارة ابو سعيد الزرقي، فيرجح ابن حجر ما جاء به ابن حبان قائلاً: "قال ابن حبان في الصحابة سعد بن عمارة أبو سعيد وقيل عمارة بن سعد والأول أصح وهو الذي يقال له أبو سعيد الخير"[٤].

ونجده ايضا يرجح الراي الاصح في سنة وفاة المترجم له وهذا نجده في ترجمة محمد بن حسان بن فيروز الشيباني(ت٢٥٧هـ) : "وذكره بن حبان في الثقات قال محمد بن مخلد وغيره مات في ذي القعدة سنة سبع وخمسين ومائتين وقيل مات سنة ستين ومائتين والأول أصح"[٥].

---

(١) الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حجي بن موسى السعدي، الحسباني الأصل، الدمشقي الشافعي بدمشق، وكان فقيهاً بارعاً، أفتى ودرس سنين، وخطب بجامع دمشق، وقدم القاهرة في دولة الملك الناصر فرج، في الرسلية عن الأمير شيخ، أعني الملك المؤيد، وكان معدوداً من فقهاء دمشق وأعيانها . ينظر: المقريزي، السلوك، ج٣/ ص١٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٥٣.

(٢) الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٣٨.

(٣) تهذيب التهذيب، ج٢/ ص١٤٢.

(٤) تهذيب التهذيب ، ج١٢/ ص١١٠.

(٥) تهذيب التهذيب ، ج٩/ ص١١٢.

يُبد ابن حجر تشكيكه بالمصادر باستخدام بعض العبارات "فيه نظر"، ونجد هذا في ترجمة ابراهيم بن سالم بن ابي امية المعروف ببردان بن أبي النضر (ت ١٥٣هـ) قائلاً: "روى عن أبيه وسعيد بن المسيب وعنه سليمان بن بلال وصفوان بن عيسى والواقدي"[١]، فعلق ابن حجر على ذلك بقوله: "قلت: وفيه نظر فإن في مسند أحمد له رواية عن عامر بن سعد بن أبي وقاص من رواية محمد بن أبي يحيى الأسلمي عن أبي إسحاق بن سالم عن عامر بن سعد وأبو إسحاق بن سالم. هذا هو بردان بن أبي النضر قاله أبو أحمد الحاكم في الكنى، وعامر بن سعد شارك سعيدا في كثير من شيوخه"[٢]. وفي ترجمة سلمان بن عامر بن اوس الضبي، فيرفض الرواية القائلة بوفاته في خلافة عثمان بن عفان، قائلاً: "ذكر أبو إسحاق الصريفيني توفي سلمان في خلافة عثمان وفيه نظر والصواب أنه تأخر إلى خلافة معاوية"[٣].

ونجده يشكك حتى في روايته، كقوله في ترجمته لحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي الإمام العالم النحرير المالكي(ت ٧٥٥هـ/١٣٥٥م)[٤]،" ... وذكر أن

---

(١) تهذيب التهذيب ، ج١/ ص١٢١.

(٢) تهذيب التهذيب ، ج١/ ص١٢١.

(٣) تهذيب التهذيب ، ج٤/ ص١٣٧.

(٤) حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي الإمام العالم النحرير المالكي، كان إماماً في العربية شرح ألفية ابن مالك والتسهيل وغيرهما، وأخذ العربية عن أبي عبد الله الطنجي والسراج الدمنهوري وأبي زكريا الغماري وأبي حيان والفقه عن الشرف المغيلي والأصول عن الشيخ شمس الدين ابن اللبان واتقن العربية والقراءات على المجد اسمعيل الشستري وصنف وتفنن وأجاد . ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٠.

وفاته يوم عيد الفطر سنة ٧٤٩هـ انتهى وقد رأيت بخطي ولا أدري من أين نقلته وكانت وفاته سنة ٧٥٥هـ فالله أعلم"[١].

وبِهذا نَجد ابن حجر، كان من المؤرخين المُنصفين في النقد، يَظهَر ذلك من حِرصهِ على نقل آراء الموافِقين والمخالفين في المترجم له، نحو قَولَهُ في ترجمة التقي بن رافع (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م): "ذكر لي شيخنا العراقي أن السبكي كان يقدمه لمعرفته بالأجزاء وعنايته بالرحلة والطلب، قلت: والإنصاف أن ابن رافع أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير لعنايته بالعوالي والأجزاء والوفيات والمسموعات دون ابن كثير، وابن كثير أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء لمعرفته بالمتون الفقيهة والتفسيرية دون ابن رافع، فيجمع منهما حافظ كامل، وقل من جمعهما بعد أهل العصر الأول كابن خزيمة والطحاوي وابن حبان والبيهقي، وفي المتأخرين شيخنا العراقي"[٢].

وَقَولهِ في ترجمة ابن طولو العثماني المراغي(ت٨١٦هـ/١٤١٤م)[٣]: "كان بعض من يتعصب عليه ينسبه إلى الخرف والتغيير، ولم يمع ذلك فقد

---

(١) الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص١٦.

(٣) أبو بكر بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن أبي الفخر بن نجم بن طولو العثماني المراغي نزيل المدينة زين الدين بن حسين الشافعي، ولد سنة (٨٢٩هـ)، واشتغل بالقاهرة فسمع الحديث من صالح بن مختار وعبد القادر بن الملوك وأحمد بن كشتغدى وأخذ عن الشيخ تقي الدين السبكي والشيخ جمال الدين الأسنوي، ثم دخل المدينة فاستوطنها، وأجاز له أبو العباس الحجار وأحمد ابن مزير والبرزالي والمزي وآخرون، خرجت له عنهم أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً، وخرج له الحافظ جمال الدين ابن موسى مشيخة عن شيوخه بالسماع والإجازة وحدث بها، وتفرد بالرواية عن أكثر شيوخه، وعمل شرحا على المنهاج واختصر تاريخ المدينة، سمعت عليه بمنى وبالمدينة

سمعت عليه بمكة سنة خمس عشرة وهو صحيح وأخبرني من أثق به أنه استمر على ذلك، عاش دون تسعين سنة إلا يسيرا "[١].

يظهر الجانب النقدي عند ابن حجر في تضعيف أو رفض بعض الروايات وبطريقة غير مباشرة، فيورد بعض المؤرخين عبارات التضعيف، مثل(ويقال...)[٢] او(قد قيل...)[٣]، وهي عبارات يُفهَم منها عدم تأكدهم من الخبر؛ فلذا تُذيّل مثلُ هذه الأخبار بقولهم في النهاية: (والله اعلم)، ولم يتقبل ابن حجر بعض الروايات التاريخية على انها من قبيل المسلمات التي لا يمكن ردها او مناقشتها، بل كان يستخدم عقله في مناقشتها.

ومن تلك الروايات ما يتعلق بتاريخ وفاة المترجم لهم نحو قول ابن حجر في ترجمته لأحمد بن علي السجزي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح بن علي السجزي[٤]:" ومات في شهر رمضان سنة ٧٦٢هــ/١٣٦١م، وقيل كانت وفاته

وبمكة، وولي قضاء المدينة وخطابتها سنة(٨٠٩هــ)، ثم عزل بزوج بنته أبي حامد بن المطري. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤١٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص٢٣٣.

(١) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤١٠.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٢٦، ص١٩١، ص٢٤٦، ج٢/ ص٢٧، ص١٥٠، ص ١٦٧.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٨٨، ص٣٦١، ج٢/ ص٤٥.

(٤) أحمد بن علي السجزي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح بن علي السجزي الحسيني إمام الحنفية بمكة ولد سنة ٦٧٣هــ/١٢٧٥م وسمع من الشريف الغرافي تاريخ المدينة لابن النجار بسماعه منه ومن غيره وأجاز له باستدعاء البرزالي شمس الدين ابن العماد الحنبلي وأبو اليمن بن عساكر وعبد العزيز بن الخليلي والقطب القسطلاني وابن

في ذي القعدة وقيل تأخر إلى سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، وله تسع وثمانون سنة"[١]. وبهذا نجد انه لم يعرف اي من تلك التواريخ من هو الصحيح لذا ذكرها جميعها مشككاً بصحتها.

فضلا عن ذلك نلاحظ عدم تأكدهم من مكان وفاة المترجم له، مما كان دافعا لذكر ألفاظ التشكيك قبل ذكرهم المكان؛ ليعرف القارئ انهم غير متأكدين من صحة الخبر، ومن ذلك قول ابن حجر في ترجمة احمد بن علي القوصي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)[٢]: "وفاته بالقاهرة وقيل بقوص"[٣]. ومن اسباب ذكر عدة روايات حول الحدث الواحد هو اختلاف المصادر التي نهل منها اصحاب التراجم.

ولم يقتصر الامر على ما ذكرناه بل شمل الشك والتضعيف في الروايات التي تتعلق بالمكانة العلمية للمترجم له، إذ أبدى ابن حجر شكه في علمية

الأنماطي وآخرون، وسمع منه الحافظ العراقي قرأ عليه تاريخ المدينة لابن النجار بسماعه على الشريف بسماعه من مصنفه، وجاور بمكة واستقر أمام مقام الحنفية بها. ابن حجر، المصدر نفسه، ج١/ ص٢٢٣.

(١) الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) احمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القوصي تاج الدين بن دقيق العيد ولد في سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م بقوص، وتفقه على مذهب مالك والشافعي ودرس بالنجيبية بقوص وكان يلقي كل يوم دروساً في المذهبين وناب في الحكم، وكانت وفاته سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٢٢.

(٣) الدرر الكامنة، ج١/ ص٢٢٣.

عمر بن أبي الحرم الكتناني(ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م)[١] حيث قال: " يقال ما في زمانه في الفقه مثله "[٢]. فيشكك ابن حجر بهذه الرواية، بذكره الدليل على ضعفها بقوله: " ولكن لم يصنف شيئا ولا انتفع به أحد من الطلبة ولا تصدى للفتيا..."[٣]. اما في ترجمة إبراهيم بن علي المعروف بابن عبد الحق (ت ٧٤٤هـ/١٣٤٣م)[٤] فذكر: "يقال إنه انتهت إليه رياسة المذهب في عصره"[٥]. وبهذا نجد ان ابن حجر قد شكك في المنزلة والمكانة التي كان يحضى بها المترجم له في ذلك العصر.

ومن جملة تلك الاخطاء ما يتعلق بضبط الاسماء فقد بين ابن حجر العديد من تلك الأخطاء، ففي ترجمة عبد اللطيف بن عبد العزيز النحوي

---

(١) عمر بن أبي الحرم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقي المصري الشافعي ولد سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، وأجاز له أحمد بن عبد الدائم وسمع من إسماعيل بن أبي اليسر وأسعد بن القلانسي، وتفقه على البرهان محمود بن عبد الله المراغي وأخذ عنه التحصيل بعد أن حفظه وتاج الدين الفزاري وغيرهما واستنابه ابن بنت الأعز وولي الشرقية ودمياط، ثم ولي مشيخة خانقاه طيبرس. ينظر: الدرر الكامنة، ج٣/ ص١٦١-١٦٢.

(٢) الدرر الكامنة، ج٣/ ص١٦٣.

(٣) الدرر الكامنة، ج٣/ ص١٦٣.

(٤) إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف الدمشقي، ابن قاضي حصن الأكراد، برهان الدين ابن كمال الدين المعروف بابن عبد الحق، ولد سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، وأخذ الأصول والعربية عن ظهير الدين الرومي، والصفي الهندي، والمجد التونسي وغيرهم، ورحل إلى القاهرة، فأخذ عن ابن دقيق العيد وأذن له بالإفتاء. ينظر: ابن حجر، رفع الاصر، ج١/ ص٩.

(٥) رفع الاصر، ج١/ ص٩.

(ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م)[١]، قال: " ومن الاوهام ان الاسنوى في الطبقات ذكر هذا فسماه أحمد وانما هو عبد اللطيف"[٢].

ومن جملة الاخطاء ما يتعلق بعدم الدقة في ضبط التواريخ، وهذا ما نجـده عند ابن حجر في ترجمة جنكلي بن محمد العجلي(٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)[٣]، فبعـد ان ذكر السبكي سيرة المترجم له يقع بالوهم في سنة دخوله الى الديار المصـرية حيث قال: " رأيت بخط تقي الدين السبكي بعد أن أرخه... وأول وصوله الـديار المصرية في ذي الحجة سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، قلت وهو وهم منه فإنـه إنمـا دخلها في آخر سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م "[٤]. وبهذا نخرج بالنتيجة التـي تقـول ان

---

(١) عبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف بن أبي العز الحراني الشافعي المعروف بابن المرحلة العلامة شهاب الدين النحوي، سمع من ابن الحبوبي وعلي البكري وشهاب المحسني وغيرهم، وتصدر بالجامع الحاكمي وانتفع به الناس، وكان ابوه يبيع الرحال للجمال فلذلك قيل له ابن المرحل وكان فاضلاً في النحو والعربية والمعاني والبيان، وكان هو تاجر في الكتب اعتنى بالعربية وخصوصاً الفية ابن مالك فكان فيها ماهراً وأقرأها فأخذها جماعة حلب والقاهرة عنه. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٤٠٦-٤٠٧.

(٢) الدرر الكامنة، ج٢/ ص٤٠٨.

(٣) جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العجلي، وكان وجيهاً جواداً ذكياً يحب العلماء ويطارحهم، وأول من طلبه من البلاد وحسن له المجيء إلى القاهرة الأشرف خليل وكتب له منشوراً بإقطاع جيدة وجهزه إليه فلم يتفق حضوره إلا في أيام الناصر بعد موت غازان فإنه أرسل يستأذن في المجيء فأجيب وكتب إلى نواب الشام بتلقيه وتعظيمه، فتلقاه نائبها وجهزه إلى مصر فتلقاه بيبرس والأمراء فأكرم وأعطي إقطاعاً جيداً. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ٥٣٩-٥٤٠.

(٤) الدرر الكامنة، ج١/ ٥٤٠.

الوهم والخطأ يرجع الى اسباب منها الغفلة وعدم الإحاطة فيما يلزم للمؤرخ من العلوم والمعارف التي تساعدة على تقصي الحقائق.

كما وقف ابن حجر موقف الرافض لبعض الانتقادات التي وجهها المؤلفون لعدد من الشخصيات ومن ذلك نقد ابن حجر ما نقله الذهبي في ترجمة تنكز نائب الشام(ت٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)[(١)]، بقوله:" وقال الذهبي في أواخر كتابه سير النبلاء كان ذا سطوة وهيبة وزعارة وإقدام على القدماء... لأنه كان سيء الراي حطمه غشمه مخافة العدو والصديق ويحذره المحق والمبطل لا يصفح عن ذنب ولا يقبل عذره ومع هذا لما أخذ رق له كثير من الرعية وحزنوا له قال وكان سياجاً على دمشق والناس به في أمن والظلمة كافون والرعية في عافية من المصادرة والعسف وكان تنكز مع علو رتبته وتقدمه لا يصلح للملك لبخله وحرصه وعدم تودده للأمراء"[(٢)]. فرد عليه قائلاً: " أن الذهبي عندما أعرض عن محاسن تنكز ليس بصحيح فإنه ذكر منها الكثير إلا أنه بالغ في سرد معايبه والله المستعان"[(٣)].

---

(١) تنكز نائب الشام يكنى أبا سعيد جلب إلى مصر وهو صغير فاشتراه الأشرف وأخذه لاجين بعده ثم صار إلى الناصر فأمره عشرة قبل الكرك ثم كان في صحبته بالكرك يترسل بينه وبين الأفرم فاتهم الأفرم مرة أن معه كتباً إلى أمراء الشام ففتشه وعرض عليه العقوبة فرجع إلى الناصر وشكا إليه ما لاقاه من الإهانة فقال له إن عدت إلى الملك فأنت نائب الشام عوضه فلما عاد إلى المملكة قال لتنكز ولسودي لازما أرغون النائب وتعلما أحكامه فلازماه سنة ثم جهز سودي لنيابة حلب وتنكز لنيابة الشام على البريد. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٥٢٠-٥٢١.

(٢) الدرر الكامنة ، ج١/ ص٥٢٦-٥٢٧.

(٣) الدرر الكامنة ، ج١/ ص٥٢٧-٥٢٨.

ونلحظ في المنهج النقدي الذي سلكه ابن حجر، نقده المؤلفين لإهمالهم ذكر بعض المعلومات لأسباب معينة، ففي ترجمة عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م)(١)، نرى ابن حجر ينتقد الحافظ عبد القادر في طبقاته(٢)، لعدم ذكره لسنة وفاة المترجم له: " قلت وهو ممن يلزم المؤلف ذكره فإنه توفى ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م ودفن ببلده ايدج فأما أن المؤلف لم يقف عليه أو أهمله لكونه حنفياً فإنه يصنع في الغالب كذلك "(٣). ونرى مما سبق ان ابن حجر أعطى اكثر من سبب من وراء ذلك اما ان المؤلف اهمله وهذه دلالة على عدم الدقة في ضبط التواريخ، الامر الذي يوضح مدى دقة ابن حجر في تتبع الاخطاء التي وقع فيها الحافظ عبد القادر، ومن ثم انتقد السبب من وراء ذلك وعدها أسباب مذهبية.

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، أحد الزهاد المتأخرين صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول له المستصفي في شرح المنظومة وله شرح النافع سماه بالمنافع وله الكافي في شرح الوافي وله كنز الدقائق وله المنار في أصول الفقه وله العمدة في أصول الدين تفقه على شمس الأيمة الكردري وروى الزيادات عن أحمد بن محمد العتابي سمع منه الصغناقي. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٤٧.

(٢) عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء الفرشي محيي الدين الحنفي، ولد في شعبان سنة ٦٩٦هـ/١٣٩٣م وعني بالفقه حتى مهر ودرس وافتى واجاز له الدمياطي وغيره وسمع بمكة من الرضي الطبري وسمع من ابن الحسن ابن الصواف وحسن بن عمر الكردي والرشيد ابن المعلم وغيرهم، وجمع كثير وعني بالطلب وكتب الكثير، وجمع طبقات الحنفية وخرج أحاديث الهداية وغير ذلك مات في شهر ربيع الأول سنة ٧٧٥هـ/ ١٤٧٢م. ينظر: الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٩٠.

(٣) الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٤٧.

ولم يكتفي ابن حجر بعرض الروايات التاريخية، وانما ايراده لمختلف الآراء والاخبار التي تخص مسألة من المسائل، بل كان يشارك بآرائه ومناقشاته وتحليلاته.

فقارن بين مصادره في الاخبار التي اوردها، كما جاء في ترجمة اسماعيل بن يعقوب بن اسماعيل بن صبيح، فيقارن ابن حجر قائلاً: "ذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو عروبة مات قبل أبي داود الحراني سنة "٢٧٠هـ". قلت: وموت أبي داود سنة "٢٧٢هـ" وأخرج عنه ابن خزيمة في صحيحه وأظنه حفيد إسماعيل بن صبيح الذي تقدم ذكره وهو بفتح الصاد المهملة"[(١)].

كما استخدم ابن حجر عددا من العبارات النقدية التي تهدف الى المقارنة والتحليل، كقوله" وهذا يقوي"، فكان يدعم آراءه والدليل والبرهان، كما جاء في ترجمة قرظة بن كعب بن ثعلبة الانصاري، فيورد رواية مفادها ان قرظة بن كعب بعد تولية ولاية الكوفة من قبل عمر بن الخطاب توفي بها وقيل في امرأة المغيرة بن شعبة حين تولى الكوفة، وانه اول من نيح عليه بالكوفة، فقال المغيرة سمعت النبي (ﷺ) يقول: "من نيح عليه يعذب" رواه مسلم والترمذي[(٢)].

فيقارن ويحلل تلك الرواية بقوله: "رجح المؤلف أنه مات في إمارة المغيرة واستدل لذلك بالحديث المتقدم وليست فيه دلالة لاحتمال أن يكون المغيرة قال ذلك عند موته ولم يكن حينئذ أميرا وقد جزم أبو حاتم الرازي وابن سعد وابن حبان وابن عبد البر بأنه مات في ولاية علي وأن عليا صلى عليه لكن في صحيح مسلم في هذه القصة عن علي بن ربيعة أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة وفي رواية

(١) تهذيب التهذيب، ج١/ ص٣٣٧.

(٢) تهذيب التهذيب، ج٨/ ص٣٦٩.

له أول من نيح عليه بالكوفة قرظة بن كعب وفي رواية الترمذي مات رجل من الأنصار يقال له قرظة بن كعب فنيح عليه فجاء المغيرة فصعد المنبر فهذا يقوي قول من قال أنه مات في إمارة المغيرة وكانت إمارته على الكوفة في عشر الخمسين[١].

ويتضح مما سبق ان ابن حجر، على الرغم من اعتماده على الكثير من المصادر في بناء مادته العلمية، فانه كانت له نظرة في تلك الاخبار المنقولة عنها، فقد تعامل مع تلك الاخبار على انها جزئيات تخضع للنقد، لذا لم يتحرج من مناقشتها، وكشف اوهامها، بمعنى مناقشة مصادره المكتوبة تصويباً لأخطائها.

فبرزت شخصية ابن حجر العلمية في نقده ما وقع به المؤرخون من أغلاط وأخطاء في عرضهم للروايات التاريخية، بالرغم من ثقته بمؤلفي مصادره، الا ان اساليب نقده تنوعت من خلال بعض المصطلحات التي استخدمها بالنقد من تعجيب واستغراب، او رد الخطأ عنهم بسقط، او سهو، او نسيان، داعماً رأيه بالأدلة التاريخية التي تُعضد صحة رأيه، فضلاً عن المشاركة بآرائه وتعليقاته وتحليلاته في الروايات المختلف في صحتها، فضلاً عن منهج التشكيك في بعض الروايات واستخدام الالفاظ النقدية الدالة على ذلك.

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٨/ ص٣٦٩.

الفصل الثاني

نقد الجانب السياسي

النقد في اللغة: مشتق من فعل(نَقَدَ) ويقال: نقدت الدراهم وانتقدتها: إذا خلصتها من الزيف، والنقد : تمييز الدراهم وتشخيص الزيف منها، وناقدت فلاناً اذا ناقشته في الأمر[١].

ونقد الشيء ينتقده نقداً إذا نقره بأصبعه، ونقد الطائر الحب ينقده إذا كان يلقطه التقاطاً، والإنسان ينتقد الشيء بعينه، وهو مخالسة النظر لئلا يفطن له[٢].

أما النقد اصطلاحاً: هو دراسة الرواة والمرويات لتمييز جيدها من رديئها، وعلوم الحديث كلها تعتبر نتاجاً لهذه المهمة التي اضطلع بها المحدثون والحفاظ، ومن أبرز هذه العلوم علمي الجرح والتعديل وعلل الحديث[٣].

ويتضح من ذلك ارتباط المعنى الإصطلاحي بالمعنى اللغوي ارتباطا وثيقاً.

أما النقد التاريخي: هو الذي يهدف إلى تصحيح الأخطاء الواردة في الدراسات التاريخية، والبحث عن حقيقة الشيء من حيث كونه أصيلاً أم زائفاً[٤]، فضلاً عن تحديد معاني الكلمات، لأنها تختلف أحياناً من حيث المعنى من مكان لآخر[٥]، وبهذا فقد قسم النقد الى قسمين: النقد الإيجابي ويهدف إلى التحقق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلف بما كتبه، والعناية التامة بقراءة النص التاريخي ومحتوياته، أما النقد السلبي فيهدف الى حقيقة ان المؤرخين يخطئون ويصيبون فيجب التمييز بين تزوير وكذب المؤرخ وبين خطأ ارتكبه أو معلومة خُدع بها،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ، ج٣/٤٢٥-٤٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٣/ ص٤٢٥-٤٢٦.

(٣) الخطيب البغدادي، أصول الحديث، ص ٢٦٢.

(٤) ضاحي، محاضرات في منهج البحث التاريخي، ص١١٨.

(٥) خليل سعيد، منهج البحث التاريخي، ص١٦٦ .

وينضوي تحت هذا النوع النقد السلبي الهادف إلى التشهير بمؤرخ ما لأهداف خاصة وشخصية، وليس هدف هذا النقد سوى المس بالمؤرخ بسبب اتجاهاته السياسية أو الفكرية وبسبب دوره الفكري الذي يقوم به في المجتمع(١).

وبهذا فأن النقد يعني الكشف عن عيب او نقص خفي وهذا العيب قد يكون دينياً او ادبياً او سياسياً او اجتماعياً.

اولاً: نقد اصحاب القرار السياسي:

إن من افرازات الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة اندفاع العلماء نحو تكريس حياتهم لخدمة العلم والمحافظة عليه من الضياع في ظل التردي السياسي الذي عاشته الدول الإسلامية، فاتجهوا بكامل طاقاتهم نحو رفد المكتبات بإسهاماتهم العلمية، وتزويد المجتمع الإسلامي بالكتب القيمة، وحثه على الوعي العلمي، ويمكن تأشير ذلك الأثر الفاعل الذي نهضت به المؤسسات التعليمية في القرن التاسع الهجري، وهو ظاهرة النقد التاريخي عند مؤرخي ذلك العصر، وأسهمت الحركة الفكرية في ذلك القرن بتطور هذا النشاط العلمي، وتمثل ذلك بالجوامع، والمدارس، والخوانق، والزوايا، والربط، وما شيد من مستشفيات ومكتبات علمية، ودور الدولة في رصد الأوقاف لإمداد هذه المؤسسات بكل ما تحتاجه في سبيل نهضة العلم وتشجيع طلابه.

وبرز هذا الأمر جلياً من خلال درجة شيوع تلك المؤسسات على اختلافها، وفي هذا المبحث سنناقش ظاهرة نقد السلاطين عند مؤرخي التراجم المصريين خلال القرن التاسع الهجري.

---

(١) عثمان، منهج البحث التاريخي، ص ١١٧-١٤٥؛ رستم، مصطلح الحديث، ص ١٢-٤١.

إن نقد رجالات السلطة لم يقف عند إظهار الجوانب الايجابية والسلبية، وإنما جاوزه إلى إصدار الحكم على الكثيرين من السلاطين والأمراء وأرباب المناصب في الإدارة المملوكية .

لقد اتبع ابن حجر النقد الايجابي والسلبي للشخصيات المترجم لها، ففيما يتعلق بالجانب الايجابي كان يراعى في السلاطين: الشجاعة، والحزم، والخبرة بالأمور، وعلو الهمة، والرجوع الى الحق والدين، وعدم الجور، ومحبة العلم واحتضان اهله وتشجيعهم، أو ما يقع على أيديهم من فتوحات للإسلام والمسلمين، وهي مقاييس هامة تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة النقد وتقويمه لهم.

ويذكر ابن حجر في ترجمة الظاهر برقوق الذي حكم المدة الأولى(٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٩م) المدة الثانية(٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٣٩٩م)[١] :" كان شهما شجاعا ذكيا، خبيرا بالأمور، إلا أنه كان طماعا جدا بحيث لا يقدم على جمع المال شيئا، ولقد افسد أحوال المملكة بأخذ البذل على الولايات في وظيفة القضاة والأمور الدينية" [٢].

نستنتج من هذا الحكم الصادر عن ابن حجر أن صفة الطمع المثبتة على المترجم له، وما يتبع ذلك من الوهن الوظيفي، هي سمة عهده، لأنه الحاكم والناس على دين ملوكهم كما يقال.

---

(١) برقوق بن آنص، السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق العثماني اليلبغاوي الجاركسي، سلطان الديار المصرية، القائم بدولة الجراكسة، جلبه خواجا عثمان من بلاده، وكان اسمه ألطنبغا، وقيل سودون. فلما اشتراه الأتابك يلبغا العمري الخاصكي سماه برقوقا لنتو في عينيه. ينظر:ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ٣/ص٢٨٥-٢٨٦.

(٢) انباء الغمر، ج ٢/ص٦٨.

أن الذي دفع ابن حجر الى نقد الظاهر برقوق هو أن هنالك شواهد تاريخية تؤكد ما قام به الظاهر برقوق وهي ما ذكره ابن حجر نفسه : ففي السنة الأولى من سلطنته تعرض لمؤامرة حيكت لعزله واحلال الخليفة المتوكل(٧٧٩-٧٨٥هـ/١٣٧٧-١٣٨٣م) محله، لكن برقوقاً اكتشف هذه المؤامرة وأحبطها فعزل الخليفة المتوكل واحل محله الخليفة الواثق بالله(٧٨٥-٧٨٨هـ/١٣٨٣-١٣٨٦م)[١].

لكن نلاحظ ان ابن تغري بردي يخالف ابن حجر في هذه الترجمة فيصف الظاهر برقوق بأنه كان يكره في جمع المال كان يتروى في الشيء المدة الطويلة ويستشير الأمراء وغيرهم فيما يفعله من الولاية والعزل وغير ذلك، وكان يتصدى للأحكام بنفسه، وينزل يومي السبت والثلاثاء الإصطبل السلطاني للحكم بين الناس، ولم تكن عنده الدعوى لمن سبق، ولو كان عنده، بل يقول له: حتى تسمع كلام خصمك ما يقول فيك هو أيضاً؛ فلهذا كانت حقوق الناس غير ضائعة، وكان لا يتجرأ صاحب وظيفة على أن يتكلم في وظيفة غيرها - كائناً من كان، كبيراً كان أو صغيراً - بل كل واحد يتحدث فيما يتعلق بوظيفته.

وكان يحب أهل الخير والصلاح، وكان يقوم للقضاة والفقهاء وأهل الخير، وهذا شيء لم يعهد من ملك قبله في الدولة التركية؛ وتنكر للفقهاء بعد حبسه بالكرك؛ من أجل أنهم أفتوا بقتله، ومع ذلك كان لا يترك إكرامهم[٢].

ويبدو أن هذه المؤامرة كانت سبباً في دفع برقوق إلى التطرف واضطهاد من يشك فيهم وبخاصة البحرية الأتراك، فطرد عدداً كبيراً منهم من وظائفهم

---

(١) إنباء الغمر، ج١/ ص٢٠٠-٢٠١.

٢ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١ /ص٣١٧.

ونفى بعضهم إلى الشام، على أن هذه الإجراءات أدت إلى قيام ثورة في شمال الشام ضد برقوق في سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) تزعمها منطاش نائب ملطية ويلبغا الناصري نائب حلب، حيث زحفت جموعهم نحو دمشق ثم القاهرة وسيطروا عليها فهرب برقوق ثم القى القبض عليه ونفي إلى الكرك [١].

وكذلك نلحظ في ترجمة والي القاهرة ودمياط بلبان المحسني (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) اذ وصفه ابن حجر بقوله: " كان والي القاهرة ثم ولي نيابة دمياط وكان خيراً مشكوراً "[٢].

وكذلك نلحظ أن هنالك من الولاة من اتصف بسلوك غير أخلاقي واشتهر بالفساد الذي أثر على الحياة الإجتماعية، ومن هؤلاء الأمير دولات خجا بن عبد الله الظاهري، سيف الدين، والي القاهرة ومحتسبها(ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م):" وكان هذا ظالماً غاشماً، ولي كشف الوجه القبلي[٣] فتعدى الحد في العقوبة حتى كان يأمر بأن ينفخ في دبر من يريد عقوبته حتى تندر عيناه وينفلق دماغه"[٤]. والمؤرخ بذكره لهذا النوع من العقوبات انما يرصد بشاعة بعض الولاة في الافراط في استخدام القوة ضد الرعية.

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج ١/ص٣١٧-٣١٨ .

(٢) الدرر الكامنة،ج١/ص٤٩٤.

(٣) ويقصد بالوجه القبلي الجزء الجنوبي من البلاد ويشار إليه بالصعيد أو أعلى الأرض. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٢٩٢ وص ٢٩٨؛ المقريزي، الخطط، ج١/ ص ١٤؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٢٥؛ مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٢٢.

(٤) ابن حجر، انباء الغمر، ج ٢/ ص٨٣.

وكذلك لم يغفل ابن حجر في نقده لطبقة الوزراء، فأشار الى ذكر المكانة ومنزلة المترجم له، كنحو قول ابن حجر في ترجمة الوزير شهاب الدين البارزي(ت ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)[١]، النص الاتي:" رجل جيد كثير البر والتودد والتواضع من بيت كبير... وكان حسن الملتقى والود من بيت مشهور... كانت له ديانة متينة وسيرته مشكورة"[٢].

(١) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حبان بن محمد ابن منصور بن أحمد، القاضي الصاحب شهاب الدين أبو العباس الجهني الحموي الشافعي، المشهور بابن البارزي، نسبة إلى باب ابرز أحد أبواب بغداد، وكان أصله أبرزي ثم خفف لكثرة الدور فقيل البارزي، نزيل دمشق، مولده في شوال سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، تولى الوزر بمدينة حماه، وولي نظر الأوقاف بدمشق، توفى بظاهر دمشق. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص١٧٨؛ السيوطي، نظم العقيان، ج١/ ص٥٧.

(٢) الدرر الكامنة، ج١/ ص١٧٨.

ثانياً: نقد القضاة.

القضاء في اللغة والاصطلاح:

جاء القضاء في اللغة بمعنى الحكم والجمع أقضية(١)، وهو إحكام وإتقان العمل والفراغ منه(٢)، ويأتي بمعنى اللزوم لهذا سمي القاضي قاضيا لأنه يلزم الناس(٣)، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(٤)، أي إلزم بما شئت واصنع ما بدا لك(٥)، ويكون قد سمي قاضياً لإيجابه الحكم على من يجب عليه، لأن (قضى) تأتي بمعنى أوجب(٦)، فالقاضي إذن هو القاطع والمحكم للأمور(٧).

وعلى الرغم من ورود القضاء في اللغة بمعانٍ مختلفة، إلا أن جميعها ترجع الى معنى إنقطاع الشيء وتمامه(٨)، ومن يتولى هذه المهمة يطلق عليه إسم

---

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص٥٤٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٥/ ص١٨٦.

(٢) السمناني، روضة القضاة، ج١، ص٤٩ ؛ ابن منظور،المصدر نفسه، ج١٥/ ص١٨٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٠/ ص٢٩٧.

(٣) الطرابلسي، معين الحكام، ص٣.

(٤) سورة طه: اية ٧٢.

(٥) الطرابلسي، معين الحكام، ص٦.

(٦) مسلم، الجامع الصحيح، ج٣/ ص١٣٣٦.

(٧) الازهري، تهذيب اللغة، ج٩/ ص ٢١١-٢١٢ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٠/ ص٢٩٧.

(٨) الازهري، المصدر نفسه، ج٩/ ص٢١١؛ الزبيدي، المصدر نفسه، ج١٠/ ص٢٩٦.

(القاضي) لأنه يمضي الإحكام ويحكمها، او يطلق عليه اسم (الحاكم) لمنعه الظالم من الظلم[1].

أما القضاء إصطلاحاً وشرعاً فقد عرف " بأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعا للتنازع"[2]، لان القضاء بحقيقته هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، وقضى القاضي أي لزم الحق أهله[3].

فهو إذن الحاكم الذي يحل الخلافات بين الذين يقصدونه من الشكاة فيحكم بين المذنبين الذين ثبتت إدانتهم بحكم القانون، من ناحية أخرى فهو القيام بالأحكام الشرعية وتنفيذها بحسب أوامر الشرع وقطع المنازعات[4].

وقد راعى المؤرخون المصريون في القضاة أمورا أهمها التورع والعفة، وغزارة علم، والمعرفة بالأمور الشرعية، وحسن السيرة، وفي ضوء ذلك ذكر ابن حجر في ترجمة علي بن مخلوف النويري قاضي القضاة(ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)[5] " وكان كثير الأفضال، حسن المودة، كثير المروءة، وافر الاحتمال،

---

(١) مسلم، الجامع الصحيح، ج٣/ ص١٣٣٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٢٠؛ زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج١/ ص٢٤٤.

(٣) الطرابلسي، معين الحكام، ص٦؛ الانباري، النظام القضائي، ص٥١.

(٤) القلقشندي، مآثر الانافة، ج١/ ص٧٧.

(٥) علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي قاضي القضاة زين الدين، ولد سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م ،اشتغل على مذهب مالك ومهر وعمل أمين الحكم ثم استقر في القضاء في أواخر سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م فباشره إلى أن مات إلا أن الناصر عزله لما رجع من الكرك في سنة ٧١١هـ/١٣٢٥م وأمر القاضي الشافعي أن يتخذ نائبا مالكيا من جهته فاستناب القاضي بدر الدين بن رشيق ثم أعيد ابن مخلوف. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص١٢٧-١٢٨.

عظيم البر لأهل العلم والاشتغال، عارفاً بالأحكام من جهة الدُّرْبة والتجربة"[١]، أما في الدرر الكامنة فيقول: " اشتغل على مذهب مالك ومهر... وكان مشكور السيرة كثير الاحتمال والإحسان" [٢].

ومن القضاة محمود بن محمد الحنفي(ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م)[٣]، الذي أمتدح لأنه " كان حسن المباشرة مشكور السيرة، عفيفاً وله حرمة عند الترك وغيرهم"[٤].

وفي أكثر الأحيان نلاحظ أن ابن حجر يصف القضاة بعبارة تكون مختصرة ولكنها تحمل معنى كبيراً مثل: لفظ(سيء السيرة)، ومنهم: إسماعيل بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هانئ اللخمي الغرناطي(ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، ولي قضاء المالكية بحماة، وهو أول مالكي ولي القضاء بها، ثم قضاء الشام، ثم أعيد إلى حماة، ثم دخل مصر، فاقام يسيرا، وشرح تلقين أبي البقاء في النحو، وقطعة من التسهيل، وكان يحفظ من الشواهد كثيرا جدا، ولم يكن في المالكية بالشام مثله في سعة علومه، فساءت سيرته جداً [٥].

---

(١) رفع الاصر، ج١/ ص١٢٣.

(٢) الدرر الكامنة، ج٣/ ص١٢٧-١٢٨.

(٣) محمود بن محمد بن إبراهيم بن سنبلي الحنفي، تفقه ومهر في المذهب وناب في الحكم جمال الدين ابن العديم ثم ولي قضاء حلب عوضاً عن محب الدين ابن الشحنة وذلك في سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م فباشر مدة يسيرة ثم انفصل ثم عاد واستمر إلى أن مات . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٣٣٣.

(٤) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٣٣٣.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٨١.

وكذلك القاضي احمد بن علي بن عبد الله بن علي، الحنبلي القاضي شهاب الدين ابن الحبال الطرابلسي(ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، ولي القضاء بطرابلس، وصار أمر البلد إليه، وكان يقوم على الطلبة ويرد عنهم، ويتعصب لعقيدة الحنابلة، ثم نوه به ابن الكويز(١) فنقل إلى قضاء دمشق، فدخلها سنة ٨٢٤هـ/١٤٢٠م، فاستمر إلى أن صرف في سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م ، بسبب ما اعتراه من ضعف البصر والارتعاش وثقل السمع، وكانت الأمور بسبب ذلك تخرج كثيرة الفساد، وكان مع ما أصابه كثير العبادة ويلازم صلاة الجماعة، وكان منصفاً لأهل العلم قليل البضاعة في الفقه؛ ورحل إلى طرابلس فمات بها سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م(٢).

نستشف مما ذكر عن القضاة ويمكن تسجيل بعض الامور منها: ان القضاة كانوا من اكثر الشخصيات المترجمة التي انتقدها ابن حجر، وقد يعود ذلك الى حساسية منصب القضاء وكونه على مساس مباشر بحياة الناس ومصالحهم، وكون فساد القضاة وظلمهم للرعية هو خلاف الغاية من وجود ذلك المنصب وهو احقاق الحق والحكم بالعدل بين الناس، ومنها ايضاً ان ابن حجر ركز في نقده للقضاة على مدى أحقيتهم للمنصب واهليتهم له من الناحية العلمية، ومدى التزامهم بشروط منصب القضاء وأهمها الحكم بالعدل بين المتخاصمين.

---

(١) هو القاضي علم الدين داود ابن الكويز من مواليد الكرك من أسرة ذميه يهودية حديثة العهد بالإسلام وكان أباه من كبار الكرك النصارى. المقريزي، السلوك، ج٤/ ص٦٤٣، ص٦٥٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢١٣؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣/ ص٢٠.

(٢) ابن حجر، انباء الغمر، ج٢/ ص٧٢.

الفصل الثالث

نقد الجانب الادارية

تميز حكم المماليك البحرية والبرجية بقيام تنظيمات إدارية جديدة اعتمدت في إدارتها على طبقة من الموظفين الكبار مارسوا حق التصرف في كل الأمور السلطانية الإدارية التي يتولون مهامها.

فأعتمد هذا الجهاز الإداري الضخم الذي عرفته دولة المماليك على مجموعة كبيرة من الدواوين كان يديرها موظف خاص عرف باسم ناظر او رئيس(١) وله ميزانية خاصة وعدد من الموظفين يتبعونه وينفذون أوامره، وقد استمرت هذه الدواوين في النمو والتطور طوال عصر سلاطين المماليك، حتى صارت لها أوضاعها الثابتة ونظمها الراسخة وتقاليدها الموروثة أداريا وتنظيميا، ومن أهم هذه الدواوين وأكثرها انعكاساً على استقرار السلطنة هي ديوان الاحباس(٢)، وديوان الخاص(٣)، وديوان الإنشاء(٤).

---

(١) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٩٨؛ النابلسي، لمع القوانين، ص٢٠-٢٥.

(٢) ديوان الأحباس: وهي وظيفة عالية المقدار وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة وما هو من ذلك على سبيل البر والصدقة لأناس معينين. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤/ ص٣٩.

(٣) لقد انبثق هذا الديوان عن ديوان النظر، فقد كان يشرف على شؤون السلطان المالية ومراقبة الخزانة السلطانية والانفاق على شؤون الدور السلطانية. ينظر: القلقشندي، المصدر نفسه، ج١/ ص ٤٦؛ المقريزي، الخطط، ج١/ ص٨٧.

(٤) ديوان الإنشاء: وهو من الدواوين المهمة، فمنه صياغة الكلام وترتيب المعاني في المكاتبات والولايات والمساحات والاطلاقات، وسمي أيضاً بديوان الرسائل أو ديوان المكاتبات، أما كاتب الإنشاء فهو ما يشير الى توقيع كُتّاب الإنشاء على الرسائل الإدارية التي استعملت من أهل الديوان أو صاحب التوقيع لتوقيعه على حواشي القصص والرقع

ومن النظم الإدارية هي الحسبة وكانت في مدن الإسلام وظيفة جليلة كالقضاء، وهي تابعة للخلافة، ولكن منذ أن انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة في أيام المماليك، واصبحت جميع السلطات بيد السلطان، فأن الأخير كان هو الذي يولي الوظائف الدينية بما فيها الحسبة[1].

وأن هذا المنصب كان يليه المتعممون أي العلماء، لأنه كان يشترط فيمن يتولاه ان يكون عارفا بإحكام الشريعة، ولكن هذا المنصب انحط في أغلب عصر المماليك على سمو مكانته، بسبب فساد المماليك، حتى صار أقل الوظائف[2].

ونظرا لأهمية هذا الديوان وخطورته، فقد كان متوليه يختار من أرفع الناس طبقة، ومن الذين يتصفون بالمروءة والحشمة، ويتمتعون بمستوى علمي وفني ولغوي جيد[3]، فضلاً عن معرفته بآيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم ﷺ وأن يكون عارفا بسير الخلفاء والملوك ملما بتواريخ الأمم[4].

التي تخرج من دركاه السلطان، أو ديوان الوزير، أو حتى صاحب الديوان. ينظر: القلقشندي، المصدر نفسه، ج١ / ص٩٠.

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص١٢٨.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى،ج١١/ ص٢١١.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٨ / ص١٩١ ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٤٣٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣/ ص١٠٣؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٩٩.

(٤) النابلسي ، لمع القوانين، ص٢٤؛ الظاهري، المصدر نفسه، ص٩٩.

وهذا ما نجده في وصف الكاتب عبد الله بن جعفر التهامي عفيف الدين أبو جعفر(ت ٧١٤هـ/ ١٣١٤م)(١) فقد ذكره بقوله:" ومهر في الآداب وقال الشعر الحسن وكتب للمؤيد باليمن، وكان يملي على أربعة أنفس قريضاً من فيه على وفق غرض مستدعيه من غير لعثمة ولا فأفأة ولا تمتمة في أوزان مختلفة وقوافي غير مؤتلفة"(٢).

ويرصد ابن حجر في المترجم له شهرته الأدبية التي احياناً تفوق اقرانه فاق بها أقرانه في هذه الصناعة، لذلك نال احترام وتعظيم السلاطين الذين أشتغل معهم جميعاً.

ولهذا نلاحظ أن ابن حجر يصف كاتب الانشاء زين الدين عبد الرحمن بن الخضر بن عبد الرحمن السنجاري ثم الحلبي(ت ٧٤٤هـ/١٣٤٤م) بقوله: " كان من الفضلاء له نظم ونثر مع دماثة الخلق ومحبة العلماء وأهل الحديث"(٣).

وكذلك وصف الكاتب محمد بن يحيى بن فضل الله بدر الدين ابن محيي الدين كاتب السر(ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)(٤) بقوله:" كان عاقلاً ساكناً كثير الصمت حسن السيرة أحبه الناس"(١).

---

(١) عبد الله بن جعفر التهامي عفيف الدين أبو جعفر، أحد كتاب الإنشاء للملك المؤيد صاحب اليمن، ولد قبل سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٠م. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٥٣.

(٣) الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٢٨.

(٤) محمد بن يحيى بن فضل الله بدر الدين ابن محيي الدين كاتب السر، ولد سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، وتعانى صناعة أبيه وكان في خدمته بدمشق ومصر استكتبه أخوه في توقيع الدست بدار العدل وأرسله أخوه علاء الدين إلى دمشق فباشر كتابة السر بها عوضاً عن أخيه شهاب الدين وذلك في رجب سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وهو شقيق شهاب

والكاتب عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي شمس الدين أبو محمد(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)[٢] الذي " مهر في الإنشاء وكان حسن الأخلاق والكتابة مليح المحاضرة كريم النفس"[٣].

أما فيما يخص النقد السلبي، فقد تدهورت حال كتابة السر أيام ولاية كل من جمال الدين يوسف ابن صفي السالمي الكركي، وشمس الدين محمد الهروي، ونجم الدين عمر بن حجي على التوالي، إلى أسوء حالها في تاريخ هذه الولاية، بسبب قوة إدارة السلطان الأشرف برسباي من جهة، وجهل بعضهم بخصوصيات هذه الوظيفة وأسرارها من جهة أخرى.

فكان السالمي جمال الدين يوسف بن الصفي(ت ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)[٤]، قد تولى أولا كتابة السر بالديار المصرية في الخامس من شوال

الدين وكان أحب إخوته إليه وإلى أبيه وسد بدر الدين الوظيفة عن أخيه علاء الدين لما توجه إلى الكرك. ينظر: ابن حجر، المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٨٢.

(١) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٨٢.

(٢) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي شمس الدين أبو محمد، كاتب الانشاء بحلب ولد سنة بضع وسبعمائة. ينظر: ابن حجر، المصدر نفسه، ج٢/ ص٣١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢/ ص٣١٠.

(٤) كان جمال الدين يوسف بن صفي الكركي من أسرة مسيحية حديثة العهد بالإسلام من أهل الكرك، عمل والده كاتبا عند قاضيها عماد الدين إلى ان توفى، فخلفه ولده جمال الذي صحب القاضي عماد الدين الى القاهرة واتصل بعلم الدين داود اليهودي أيام نظارته لديوان الجيش والذي توسط عند الملك المؤيد شيخ لينقله من كِتابة الشام إلى نظر الجيش بطرابلس، ثم عاد إلى القاهرة في أخر أيام السالمي ابن الكويز فحسنت علاقته بالأشرف

سنة(٨٢٦هـ/١٤٢٢م) بعد موت سلفه علم الدين داود ابن الكويز السالمي، وحصل عليها نظير مبلغ مالي دفعه للسلطان الأشرف برسباي(١)، إلا أنه سرعان ما عزل عنها في التاسع من ربيع الأول سنة٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م، ولم يمضِ مستقرا فيها سوى ستة اشهر، بعد أن ظهر عجزه في كِتابة جواب لكِتاب ورد على السلطان من بعض ملوك الأقطار الإسلامية يشتمل على نظم ونثر وفصاحة وبلاغة، كان الأشرف برسباي قد أراد من كاتب سره جمال الدين أن يجيب بأحسن منه أو بمثله(٢).

لقد خلع السلطان الأشرف برسباي على قاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي في التاسع من ربيع الثاني سنة ٨٢٧هـ /١٤٢٣م وسلمه كتابة سر السلطنة بالديار المصرية، وهو على ما يظهر من لقبه مشرقي من أهل هراة(٣)، عاش ردحا من الزمن بالقدس، قبل أن يتوجه إلى مصر من أجل السعي لولاية ديوان كاتب السر فيها، واعداً السلطان بمال كثير إن عقدت الولاية باسمه(٤).

وهذا دليل آخر يثبت الفساد الإداري المتفشي في مرافق الدولة، اذ أصبحت المناصب تباع وتشترى من قبل أصحاب الأموال وليس لمن يمتلك

برسباي والذي وعد بمال كبير إذا ولي كِتابة السر بالديار المصرية. المقريزي، السلوك، ج ٤/ص ص٦٤٢-٦٤٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٣١٨.

(١) المقريزي، السلوك، ج٤/ ص ص٦٤٢-٦٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٢٥٦.

(٢) ابن حجر، انباء الغمر، ج٣/ ص٣٢٥.

(٣) هراة : مدينة عظية مشهورة النسب من امهات مدن خراسان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص١٠٦-١٠٧.

(٤) ابن حجر، انباء الغمر، ج٣/ص٣٢٥.

المؤهلات الإدارية التي بموجبها يكون أهلا لتسلم زمام هذه المناصب[١]. والــذي يمكن تسجيله هنا ان معظم مؤرخي التراجم المصريين في القرن التاسع الهجري انتقدوا ظاهرة الفساد الاداري آنذاك.

وكذلك نجد ان المحتسب تعرض للنقد من قبل ابن حجر، ويظهر أن بعض محتسبي العصر المملوكي ساروا سيرا حسنا، وتمتعوا بسمعة طيبة فــي مصــر وخارجها، فذهب بعض المؤرخين الى ذكر منزلة المحتسب ومكانته، كنحو قــول ابن حجر في ترجمة المحتسب محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بــن المنجا التنوخي ابن الشيخ وجيه الــدين(ت٧٤٦هـــ/ ١٣٤٤م)[٢] : " وكــان ذكيا... جماعا للكتب... وكان صدرا رئيسا كثير الحشمة والمروءة حسن الشكل محبا لأهل العلم"[٣].

وهذا ما نلاحظه أيضا في ترجمة محمود بــن محمــد بــن داود القســري (ت ٧٩٩هـــ/ ١٣٩٦م)[٤] الذي " ولي الحسبة فسار فيها سيرة حســنة وأحبــه الناس... ثم استضاف إليه القضاء وكان رئيساً كاملاً وفاضلاً "[١].

---

(١) للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: ضاحي، الفساد الاداري، ص٥٥-وما بعدها.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي عز الدين ابن الشيخ وجيه الدين، ولد في أول سنة ٦٨٨هـــ/ ١٢٨٩م، وولي حسبة دمشق ونظر الجامع، وهو والــد الشيخة أم الحسن فاطمة التي أكثر عنها في رحلتي إلى دمشق. ابن حجر، الدرر الكامنــة، ج٣/ ص٣٥٧.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٣/ ص٣٥٧.

(٤) محمود بن محمد بن داود القسري جمال الدين الحنفي المعروف بالعجمي ، قدم القاهرة ، وتوصل بصحبة الأمراء إلى مقاصد كثيرة. ينظر: ابن حجر، الــدرر الكامنــة، ج٤/ ص٣٣٥.

وبهذا نجد أن هذه الوظيفة كانت لها هيبتها ومكانتها في الشطر الأول من عصر المماليك، وكان المحتسب يحتل مكانة مهمة في المجتمع ويعد مسؤولا في نظر الناس عن حالة السوق، فإذا ما كانت الأسعار معقولة والأسواق مستقرة كان المحتسب يلقى رضاء الناس عنه، والدليل على ذلك أنه تولى وظيفة القضاء إضافة الى الحسبة.

لقد كانت وظيفة ناظر الجيش من الوظائف العالية في الدولة، وذلك لأن المسؤول عنها يشرف على الجيوش وما يتعلق بها من جميع النواحي في ذلك العصر الذي كان فيه للجندية مكانة رفيعة، ونلاحظ هذا في ما ذكره ابن شاهين الظاهري(ت٨٧٣هـ/١٤٦٧م) : حينما بين مكانة ومهام ناظر الجيش بقوله: " أنه أصبح أهل الدراية بتدبر الممالك، ومن أنصف أصلاحها بإيضاح الطرق والمسالك، انه فراسة المملكة وسياقه الدولة، وضبط أمور الجيش، وحفظ أموال الجندي فانه قطب مدارها، وسبب استقرارها فيتعين الاعتناء به، والنظر في مصالح كتابته، فإن شأنه أرفع، وديوانه اجمع، وعلمه أوسع، لا سيما في دولة فسيحة الاطراف، واسعة الأكناف، وقد دلت جريدة جيشها على الالاف، تحتاج الى ترتيب منازلها على قدر طبقاتها، وضبط أقطاعاتهم، ورعاية مبادئ مددهم وأقواتهم، ومعظم هذه الأمور معروفة بناظر الجيوش المقصود والمشار إليه، والذي مداره جميع أحوال المملكة على ما يصدر عنه ويرد اليه"[٢].

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٤/ ص٣٣٥.

(٢) زبدة كشف الممالك ، ص١١٣.

وتوجب على ناظر الجيش ان يتصف بالمعرفة، الأمانة، وأن يكون ملماً بأحوال البلاد ومواضعها من الإقليم[١].

ويبدو أن ناظر ديوان الجيش كان يحفظ سجلات خاصة عن أحوال الإرواء لسقي المزروعات بهدف معرفة الواردات وتكريسها للصالح العام وكان أيضاً يراقب أحوال العمران في البلاد ويسجلها وهي مهمة واسعة تتعدى الاهتمام بالجند[٢].

وأضاف السبكي بأنه: " ينظر في حال الأجناد وتجريد من يرى فيهم المصلحة والقدرة والكفاية وان لا يكلف الفقراء أو يلزم الفلاحين بالفلاحة في الاقطاعات"[٣].

ومن مهامه تولي الاقطاعات للجند وتوزيعها، والتهيئة لتعبئة المقاتلين وتوفير الأسلحة، وبناء وترميم الحصون والحاميات والقلاع[٤]، فضلاً عن عمل سجلات خاصة بأصحاب الاقطاعات، كالجند والأمراء والقادة، وتدوين أسمائهم، وما انتقل إليه من الإقطاع حسب السنوات الهجرية[٥].

وهنا ينقد ابن حجر وفق المؤهلات الادارية التي يتمتع بها الشخص المنتقد، كأن يكون منحدرا من عائلة اشتهرت بزمانها تسلمت مناصب ادارية

---

(١) النابلسي ، لمع القوانين ، ص٢٣.

(٢) النابلسي ، لمع القوانين ، ص٢٣.

(٣) السبكي ، معيد النعم، ص٣٣-٣٤.

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢ / ص١١٣؛ المقريزي، الخطط، ج١ / ص٣٨٠.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٨ / ص ٢٠٠ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص ٣٠؛ حسن، تاريخ المماليك، ص ٣٤٢.

بكفائه وحنكه، الامر الذي يسوغ مقبولية في الحياة العامة التي تزود المؤرخ بهذا الوصف الايجابي، ونجد أن السلطان هو الذي كان يتابع ويراقب هذا الديوان ويعين له شخصية لها مؤهلات يحددها السلطان بنفسه[1].

ونجد هذا واضحا في ترجمة ناظر الجيش يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي شرف الدين(ت٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)[2]، حيث كان " رئيساً نبيلاً جواداً يحب الفضلاء ويرعاهم متجملاً في زيه وملبسه وهو والد الرئيس ناصر الدين محمد بن يعقوب الذي ولي كتابة السر بحلب وبدمشق"[3]، وكذلك في ترجمة ناظر الجيش موسى بن أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد بن قطب الدين(ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)[4] ،" كان محباً في الفضلاء وقوراً مهيباً كثير المواساة"[5].

---

(١) ابن حجر، الفضل المأثور، ص١٣٢.

(٢) يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي شرف الدين، ناظر الجيش بحلب ثم بطرابلس تنقل في هاتين الولايتين مراراً عدة ثم قدر أن مات بحماة، وقد جاوز الستين. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٤٣٤.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٤/ص٤٣٤.

(٤) موسى بن أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد بن قطب الدين، ولد سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، واشتغل وتمهر ثم عني بالمباشرات فولي ديوان الجيش بدمشق زمن الأفرم، ثم ولي نظر الجيش في أول ولاية الناصر الأخيرة بعد رجوعه من الكرك، ثم ولي نظر الجيش بمصر، ثم أعيد إلى الشام، واستمر إلى أن مات في ذي الحجة سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م ودفن بتربته التي أنشأها بالصالحية. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٤/ ص٣٧٢.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٤/ ص٣٧٢.

ومن المؤرخين من يصف صاحب الترجمة بصفات تدل على مكانته ومنزلته، وتأثيره في المجتمع آنذاك، وهذا ما نلاحظه في ترجمة ابن حجر العسقلاني للناظر محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي الأصل المصري محب الدين (ت٧٨٧هـ/١٣٧٦م)(١) " ولي نظر الجيش بالديار المصرية ففاق من قبله من الأكابر فضلاً عن أقرانه في المروءة والعصبية لجميع الناس ممن يقصده خصوصاً طلبة العلم فكان لهم في أيامه من المكارم والأفضال ما لا يعبر عنه ولا يحصى كثرة حتى أني لم أدرك أحداً من المشايخ إلا ويحكي عنه في هذا الباب ما لا يحكيه الآخر ولم يزل في عزه وجاهه ومهابته إلى أن مات"(٢).

---

(١) محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي الأصل المصري، ولد بالقاهرة سنة ٦٩٧ هـ/١٢٦٧م، وسمع من الرشيد ابن المعلم والشريف موسى بن علي الموسوي والشريف الزينبي وابن هارون وابن الشحنة وحسن الكردي وموسى بن عطوف في آخرين واشتغل وحصل فنوناً من العلم، وأخذ العربية عن أبي حيان والتلخيص عن الجلال مصنفه وأخذ عن التقي السبكي والقطب السنباطي والتاج التبريزي وشرح التسهيل شرحاً حسناً. ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٤/ص٢٩٠.

(٢) الدرر الكامنة، ج٤/ص٢٩٠-٢٩١.

الفصل الرابع

نقد الجانب العلمية

اولاً: نقد رجال الدين

وفي ترجمة ابراهيم بن يزيد النخعي(ت ٩٦هـ)(١)، ونجد ان معظم المؤرخين قد عدوه ثقة(٢)، باستثناء ابن حجر فقد ذمه بوصفه انه كان يدلس في الاحاديث(٣)، وهذا ما نجده ايضا في ترجمة حبه بن جوين البجلي(ت٧٥هـ/٦٩٤م)(٤)، فقد وصفه ابن حجر بانه من الغلاة(٥)، وعند البحث في المصادر وجدنا انه روى عن الامام علي(عليه السلام) وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وروى عنه رشيد الهجري، ومسلم الاعور وسلمة بن كهيل، واخرون(٦)، فضلاً عن اعتماد الطبري في احداث معركة صفين(١).

---

(١) ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمر النخعي، ولد سنة ٥٠هـ، كان اعور تابعي كوفي، وقد وصف بانه مفتي الكوفة مع الشعبي في زمانهما، وكذلك وصف بانه صيرفي الحديث، وهو من محبي الامام علي(عليه السلام)، وكان على خلاف مع الحجاج الثقفي، توفى سنة ٩٥هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٠٧ ؛ ابن معين، تاريخ ابن معين- الدوري، ج٣، ص٢٦٥؛ العجلي، معرفة الثقات، ج١، ص٢٠٩؛ الرازي، الجرح والتعديل، ج٢، ص١٤٤؛ الدار قطني، السنن، ج٣، ص١٢٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٢، ص١٣٧؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٧٤.

(٢) العجلي، معرفة الثقات، ج١، ص٢٠٩؛ تاريخ ابن معين- رواية الدوري، ج٤، ص١٤؛ الباجي، التعديل والتجريح، ج١، ص٣٥٨.

(٣) طبقات المدلسين، ج١/ ص٢٨.

(٤) حبة بن جوين بن علي بن عبد نهم بن مالك بن غانم العريني البجلي، ذكره ابن سعد من تابعي الكوفي. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج٥، ص٣٥١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٧٧.

(٥) تقريب التهذيب، ج١، ص١٥٠.

(٦) المزي، تهذيب الكمال، ج٥، ص٣٥١- ٣٥٢.

وهذا ما نجده ايضاً فيذكر كلثوم بن جبر الخزاعي الكوفي، فقد وصفه بعبارة: "مقبول"[٢]، وبالمقابل وصفه احمد بن حنبل: "ثقة"[٣]، ولكن نجد في الكتب التاريخية ان اغلب الكتب المعتبرة قد اعتمد على رواياته، ومنهم: البلاذري في ذكر احداث معركة صفين، واخبار يزيد بن المهلب، وسيرة عمار بن ياسر[٤]، وكذلك نجده عند الطبري في اخبار النبي ادم(عليه السلام)[٥]، فضلاً انه روى عن الامام علي(عليه السلام)، و سعيد بن جبير، وعبد الله بن مسعود[٦].

ففي ترجمة عبد الله بن سلمة المرادي(ت)[٧]، فقد عده ابن حجر: "صدوق تغير حفظه"[٨]، ولكن نجد اجماع المؤرخين على انه ثقه[٩]، فضلاً انه

---

(١) التاريخ، ج٤، ص٢٧.

(٢) تقريب التهذيب، ج١، ص٤٦٢.

(٣) العلل ومعرفة الرجال، ج٢/ ص٣٧٨.

(٤) انساب الاشراف، ج١/ ص١٩٧، ج٣/ ص٩٣، ج٤/ ص٧٢، ج٨/ ص٣١٣.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، ج٢/ ص٩٠.

(٦) ينظر: ابن حبان، الثقات، ج٥/ ص٣٣٦؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣/ ص٤١٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٨/ ص٣٩٧.

(٧) عبد الله بن سلمة الجهني المرادي يكنى ابا العالية، تابعي من اصحاب الامام علي(عليه السلام) شهد الجمل وصفين. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١١٦؛ خليفة بن خياط، الطبقات، ج١/ ص١٤٧؛ البخاري، التاريخ الصغير، ج١/ ص٢٠١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩/ ص٤٦٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٥/ ص٥٠؛ الذهبي، الكاشف، ج١/ ص٥٥٩؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١/ ص٣٠٦.

(٨) تقريب التهذيب، ج١/ ص٣٠٦.

(٩) العجلي، معرفة الثقات، ج٢/ ص٣٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٥/ ص٥٢.

روى عن الامام علي‏(عليه السلام) وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، ومعاذ بن جبل، واخرون[1]، وروى عنه البلاذري[2]، وخليفة بن خياط[3].

اما في ترجمة حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الكوفي(ت ١١٩هـ/٧٣٧م) [4]، فنجده يصفه بانه ثقة لكنه يكثر الترسل والتدليس ووصفه بأنه كان فقيهاً جليلاً[5]، لكن نجد عند المؤرخين انه مفتي اهل الكوفة [6]، اما العجلي وصفه بالثقة[7] ، وامتدحه الشيخ الطوسي بقوله ثقة مجتهداً[8].

ونجد من نص ابن حجر انه اراد من نقده له بأنه كثير الارسال في الروايات التي لم يأخذها مباشرة، وانه لذلك يعد مدلساً ولكنه جليل القدر في الفقه، نجد ان البلاذري اعتمد عليه في مروياته في سيرة عثمان بن عفان، وعمار بن

---

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦ ص١١٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٥/ ص٥١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥ ص٢١٢.

(٢) نساب الاشراف، ج١/ ص١٩٥، ص٩٤، ٩٥، ج٢/ ص٦٤.

(٣) التاريخ، ١٤٣.

(٤) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦/ ص٣٢٠؛ خليفة بن خياط، الطبقات، ج١/ ص١٥٩؛ الشيخ الطوسي، الرجال، ص١١٢؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج/ ص١١٦.

(٥) ج١/ ص١٥٠.

(٦) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦/ ص٣٢٠؛ العجلي، معرفة الثقات، ج١/ ص١٨١؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١/ ص١١٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢/ ص١٥٦.

(٧) معرفة الثقات، ج١/ ص٢٨١.

(٨) اختيار معرفة الرجال ،ج١/ ص١٤٣

ياسر، واحداث معركة صفين[١]، وكذلك ابن خياط[٢]، والطبري[٣]، وفي المقابل نجد ابن حجر في كتابة تهذيب التهذيب يذكر انه روى عن ابن عمر، وانس بن مالك، وزيد بن ارقم، وسعيد بن جبير، وحصين بن عبد الرحمن، والثوري، واخرون[٤].

ونجد في بعض الاحيان ان ابن حجر يصف المترجم له بانه ثقة ولكنه في نفس الوقت يشكك باحاديثه، وهذا ما وجدناه في ترجمة عثمان بن عاصم بن حصين(ت ١٢٧هـ/ ٧٤٤م)[٥]، فيصفه ابن حجر بانه ثقة ثبت سني، غير انه ربما كان يدلس[٦]، وعند تفحصنا لأغلب المصادر وجدنا ان المزي على سبيل المثال اورد بأن لأبي حصين اربعمائة حديث عن رسول الله ﷺ كذلك عده من

---

(١) انساب الاشراف، ج١/ ص١٨٩، ١٩٦، ١٩٨، ج٢، ٢٨٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٤٠٤، ج٣، ص٤٣، ج٦، ص٢١٥ ؛ فتوح البلدان، ج٢، ص٣٥٣، ص٣٧٧، ج٣، ص٥٤٨.

(٢) التاريخ، ص١٤٦- ١٤٧.

(٣) التاريخ، ج١، ص٩١، ١٣٨، ج٢، ص٤٤٧، ٥٧٣، ٥٧٦، ج٣، ص١٣٩.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٥٦.

(٥) عثمان بن عاصم بن حصين، الملقب ابي حصين الأسدي الكوفي من ولد عبيد الابرص الشاعر، من اصحاب عامر الشعبي حتى قيل ان الشعبي -عندما حضرته الوفاة- قيل له: (بمن تأمرنا قال ما انا بعالم ولا اترك عالماً وان ابا حصين لرجل صالح) وكان ابو حصين عثماني الميول، واشتهر بانه من قراء الكوفة ومن متقنيهم.ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج١٩، ص٤٠١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٢١؛ ابن خياط، الطبقات، ج١، ص١٥٩.

(٦) تقريب التهذيب، ج١، ص٣٨٤.

حفاظ اهل الكوفة(١) ، فضلاً ان عدد من علماء الرجال وصفوه بالثقة، وصاحب سنة(٢)، وكذلك نجد اعتماد البلاذري على رواياته منها سيرة الإمام علي (عليه السلام) ، وعن حجر بن عدي، وسير زياد بن أبيه، وعبيد الله بن زياد، ورواية استشهاد الحسين (عليه السلام)(٣)، وهذا نجده عند الطبري في بدء الخليقة ، والانبياء موسى ويوسف(عليه السلام)، وسيرة عمر بن الخطاب(٤)، اما من روى عنهم: ابراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي، ومجاهد بن جبير، وكثيرين(٥).

وفي ترجمة عامر بن شراحيل أو شرحبيل الشعبي(ت١٠٣هـ/ ٧٢١م أو ١٠٤هـ/ ٧٢٢م)(٦)، وصفه ابن حجر بانه كان مرسلاً في أحاديثه ومع انه صحيح(١).

---

(١) تهذيب الكمال، ج١٩، ص٤٠٣- ٤٠٤.

(٢) العجلي، معرفة الثقات، ج٢، ص١٢٩؛ الرازي، الجرح والتعديل، ج٦، ص١٦٠؛ الباجي، التعديل والتجرح، ج٣، ص٩٥٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٩، ص٤٠٣؛ الذهبي، الكاشف، ج٢، ص٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٧، ص١١٦

(٣) انساب الاشراف، ج٣، ص١٩، ١٩٩، ٤١٢، ج٤، ص١٢، ج٥، ص٢٠٨، ٢٧٥، ٤٠٧، ج١٠، ص١١٨. ٣٢٤، ٣٦٤، ج١٣، ٣٦٧.

(٤) التاريخ، ج١، ص٨، ٦١، ٢٤٨، ٢٨٠، ج٣، ص٢٧٣.

(٥) المزي، تهذيب الكامل، ج١٩، ص٤٠١- ٤٠٢.

(٦) عامر بن شراحيل أو شرحبيل الشعبي، اصله من حمير، ولد سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، يعد الشعبي من كبار تابعي الكوفة، من المقربين لعبد الملك بن مروان، فكان مؤدباً لاولاده وقد اعتمده ببعوثه السياسية. ينظر: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٤٦؛ خليفة بن خياط، الطبقات، ج١، ص٥٧؛ السمعاني، الانساب، ج٣، ص٤٣٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤.

ويتفق اغلب المؤرخين انه كان فقيه زمانه، وان العلماء أربعة هم سعيد بن المسيب بالمدينة، ومكحول بالشام، وعامر الشعبي بالكوفة، والحسن بن ابي الحسن البصري بالبصرة [٢]. فقد كان راوية للأخبار التاريخية ومغازي رسول الله ﷺ [٣]، وامتدح بانه ليس هناك احد أعلم سنة ماضيه من الشعبي [٤].

واذا اردنا الرد على ابن حجر نجد ان الشعبي يعد من بين اكثر مصادر البلاذري ورواته، فقد روى عنه ما يقرب مائة واثنتان وتسعون رواية[٥]،

---

(١) ابن حجر، تقريب التهذيب ج١، ص٢٨٧.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٢٨؛ ابن عساكر ، الاربعين البلدانية، ص١٥٧؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٣١، ص١٩٢؛ ابن حجر،، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٥٩؛ الكحلاني، سبل الاسلام، ج٣، ص١٩٨.

(٣) ينظر: الرازي، الجرح والتعديل، ج٦، ص٣٢٢؛ ابن حبان، الثقات، ج٥، ص١٨٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٣٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٢٩٦؛ تذكرة الحفاظ، ج١، ص٨٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص٥٩؛ النووي، المجموع شرح المهذب، ج٢، ص٥٢٤؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٥، ص٥٤.

(٤) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٤٨- ٢٥٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٣٠١؛ تذكرة الحفاظ، ج١، ص٨٢- ٨٣؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٤، ص٣٥؛

(٥) انساب الاشراف، ج١، ص١٧، ١٦٧، ١٩٠، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٤، ٢١٥، ٤٢٤، ٤٩١، ج٢، ص٤٢، ٤٦، ٦٨، ١٢١، ١٦٧، ١٨٥، ٢٢٤، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٣٩، ج٣، ص٨، ٦١، ١٢٣، ١٣٤، ١٤٠، ٢٤٩، ٢٦٢، ج٥، ص٢٧، ٥٨، ٨٦، ٢٢٣، ٢٤١،ج٦، ص٣٩، ٢٦٧، ٢٨٩، ٣١٩، ٣٨٠، ٣٨٥، ٤١٨، ٢٠، ٢٤، ٨٦، ١٥٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٤٦، ٢٦٥، ج٩، ص٨٣، ٤٣١، ج١٠، ص١٢، ١٩،

أما خليفة بن خياط فانه اخذ عنه ست عشرة رواية في ميادين تاريخية مختلفة [(١)]، واعتمده الطبري بحوالي مائة واثنتين واربعين رواية، فضلاً عن بدء التدوين بالتاريخ الهجري[(٢)].

ونحن نعلم ان اول من فتش عن الاسناد هو عامر الشعبي، حينما قرأ الربيع بن خثيم عليه حديثاً "قال الشعبي: فقلت من حدثك، قال: عمرو بن ميمون،

٢١، ٥٤، ٥٨، ٦٠، ٨٢، ١٣٨، ٢١٨، ٢٤١، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣١٢، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٩، ٣٩٧، ٤٢٩، ٤٣٢، ٣٦٨، ج١١، ١٩٦، ٢١٥، ٢٠٦، ج١٢، ٣١٨، ج١٣، ٧٧، ١١٢، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٧، ٣٩٨؛ فتوح البلدان، ج١، ص٣٠، ٨٩، ج٢، ص٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٣، ٣١٠، ٣١٥، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٩٢، ج٣، ٥٥٦، ٥٦٠، ٥٧٦ .

(١) التاريخ، ص٥٨، ٥٩، ٨١، ٧٨، ٨٦، ٩٢، ٩٥، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩، ١١٤، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٠.

(٢) التاريخ، ج١، ص١٠، ٦٥، ١٠٤، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٨٨، ج٢، ص٥٩، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ٥٥١، ٥٣٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٨٩، ٦٣٢،ج٣،ص٧، ٨، ٢٥، ٤٦، ٥٣، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١١٠، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٥، ١٥١، ١٥٤، ١٦٤، ١٨٤، ١٩٠، ٢٢١، ٢٤٢، ٢٥٥، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٥، ٣٤٩، ٣٦٥، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٦٩، ٤٩٣، ج٤،ص٣٢، ٤٠، ٤٦، ٤٩، ٦٩، ١٢٩، ١٦٧، ١٧٥، ١٨٨، ١٩٧، ٢٢٤، ٢٤٩، ٣٠٧، ٤٥٧، ٤٩٤، ٤٩٥،ج٥،ص١٤٠، ١٧٧.

وقلت له: من حدثك، فقال: ابو ايوب صاحب رسول الله(ص) قال يحيى بن سعيد: وهذا اول ما فتش عن الاسناد"[1].

لم تقتصر جهد ابن حجر، على ما قدمه من النقد التاريخي الذي وجهه الى السياسيين والاداريين بل نقد ايضاً علماء الدين من فقهاء ومحدثين، فالملاحظ أنه قد راعى فيهم العديد من الصفات، ومنها التولع بالعلم، والمعرفة بالاستحضار، والتمهر فيما يعملونه.

ومن الفقهاء الذين انتقدهم نقداً ايجابياً:

ذهب بعض المؤرخين الى ذكر منزلة المترجم له ومكانته، وتتحدد هذه المنزلة بعبارات معينة، ومن الفقهاء الذين انتقدهم مؤرخو القرن التاسع الهجري نقداً ايجابياً للمكانة العلمية التي احتلوها ومنهم: أبو بكر بن عبد الله النشائي (ت ٧١٦هـ/ ١٣١٦)[2] الذي " كان مشكور السيرة فقيهاً فاضلاً مناظراً"[3]. وأحمد

---

١ الشهرزوري، مناهج المحدثين، ج١/ ص٨٦.

(٢) أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب النشائي، اشتغل كثيراً وبرع وأتقن الفقه، وتعانى الكتابة فبرع فيها إلى أن ولي نظر الدولة ثم ولي الوزارة في أول سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، وكان قد ولي التدريس بالمدرسة التي بجوار الشافعي بالقرافة، ونظر الأحباس ونظر الخزانة. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص٤٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ص٤٤٤.

بن إبراهيم البصروي الفقيه الحنفي(ت ٧١٨هـ/١٣١٨م)[١]" وكان شيخاً فقيهاً فاضلاً درس وأفتى"[٢].

ومحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي شمس الدين(ت٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)[٣] " كان بارعاً فاضلاً متقناً في علوم كثيرة... كان ذا حظ من زهد وتعفف وصيانة" [٤].

---

(١) أحمد بن إبراهيم البصروي بن أحمد بن عتبة بن هبة الله بن عطاء بن ياسين الفقيه الحنفي، ولد في أوائل سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص٨١.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص٨١.

(٣) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي شمس الدين، ولد في حدود سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م وسمع من عيسى المطعم وجماعة واشتغل في الفقه وبرع فيه إلى الغاية وصاهر القاضي جمال الدين المرداوي وناب عنه في الحكم وصنف الفروع في مجلدين أجاد فيه إلى الغاية وأورد فيه من الفروع الغريبة ما بهر العلماء، ولا سيما في الفروع وله على كتاب المقنع شرح في نحو ثلاثين مجلدة وعلق على المنتقى للمجد ابن تيمية . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٢٦١.

(٤) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ ص٢٦٢.

وهذا ما نجده في ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الغزي المعـروف بـابن الشحنة(ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)(١) حيث قال:" كان كثير التودد للناس فيـه اعتقـاد وكان يقظاً نبيهاً يستحضر كثيراً من ألفاظ المتون ويرد على القارئ رداً مصيباً، وكان صالحاً عابداً قانتاً... وكان قد حضر دروس الشيخ تقـي الـدين السـبكي وغيره أشتغل بالتكسب في حانوت بباب الفتوح ثم كبر فترك وحـدث بـالكثير، ومن كتبه المستخرج لأبي نعيم على صحيح مسلم ونحو الثلث الأول من صحيح ابن حبان ومسند أبي داود والسنن للشافعي" (٢).

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك بن حماد بن تركي بن عبد الله الغزي ثم القاهري أبو الفرج البزاز الفتوحي المعروف بابن الشحنة، ولد سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٤م أو نحوهـا وسمع من يوسف بن عمر الختني وأبي الحسن علي بن عمر الواني ويونس بن إبراهيم الدبوسي وعلي بن اسمعيل بن قريش وعبد الله بن علي الصنهاجي، وكان عنده مسـند أحمد وصحيح مسلم والسنن الكبير للبيهقي والمجالسة للدينوري وغير ذلك. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٢٥.

ومن النواحي التي يقع فيها النقد هو السلوك الديني للمترجم لَه، ومن الأمثلة على ذلك، ما أورده ابن حجر في ترجمة، إسماعيل بن سعيد الكردي المقرئ(ت٧٢٠هـ/١٣١٩م)[١]، أذ قال: " رمي بالزندقة بسبب أنه كان كثير الهزل فحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له إسماعيل الكافر وإسماعيل الزنديق"[٢].

وبعضهم ينتقد السلوك الأخلاقي للمترجم له: كوصف ابن حجر للشيخ شمس الدين محمد ابن غدير الواسطي المقرئ(٧٣٩هـ / ١٣٦٤م)[٣]: " وكان سيئ الخلق بذيء اللسان"[٤] .

---

(١) إسماعيل بن سعيد الكردي المقري المصري، وكان عارفاً بالقراءات، قرأ على الشطنوفي، والصائغ. واشتغل بالفقه والنحو والتصريف ، ويحفظ كثيراً من التوراة والإنجيل، ويحفظ العمدة في الحديث. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣/ ص٤٨.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ ص٣٦٧.

(٣) محمد بن أحمد بن علي بن غدير الواسطي الشيخ شمس الدين ابن غدير المقرئ، نزيل القاهرة إمام مقرئ محقق ناقل بارع مجود، أخذ القراءات عن العز الفاروثي وصحبه مدة وجاور معه بمكة وسمع من عبد الله ابن مروان الفارقي وغيره وكان ماهرا في القراءات عارفا بطرقها مستحضرا تصدر للإقراء بجامع الحاكم. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٤٤٣.

(٤) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٣/ ص٤٤٣.

انتقد ابن حجر الفقيه سراج الدين ابن الملقــن(ت٨٠٤هـــ/ ١٤٠١م)[١]، قائلاً: " إنه كان يكتب في كل فن سواء أتقنه أو لم يتقنه... ولم يكن في الحــديث بالمتقن ولا له ذوق أهل الفن... لم يكن بالحافظ بل الذين قرءوا عليه ورأوه مــن سنة سبعين فما بعدها قالوا إنه لم يكن بالماهر في الفتوى ولا التــدريس وإنمــا كانت تقرأ عليه مصنفاته غالباً فيقرر ما فيها، وبالجملة فقد اشتهر اسمه وطــار صيته وكانت كتابته أكثر من استحضاره ولهذا كثر الكلام فيه من علماء الشــام ومصر حتى قال ابن حجي: كان لا يستحضر شيئاً ولا يحقــق علمــاً وغالــب تصانيفه كالسرقة من كتب الناس"[٢].

(١) سراج الدين عمر بن ابي الحسن بن الملقن، ولد سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) في القــاهرة، وتوفى والده وله من العمر سنة واحدة، فاوصى به إلى الشيخ شــرف الــدين عيســى المغربي (الملقن لكتاب الله) وكان صالحاً فتزوج ام سراج الدين ورباه فعــرف ســراج بابن الملقن نسبة اليه، وأقرأه القرآن وانشأه ورباه تربيةً علميةً ودينيةً صــالحةً. ومــن مؤلفاته في فقه الشافعية (شرح المنهاج) لجمال الدين الاسنوي (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م) و (التحفة والبلغة) و (شرح التنبيه) لعبدالله بن ابي عصرون (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) و (الخلاصة) و (جمع الجوامع) وغيرها. ابــن حجــر، انبــاء الغمــر، ج١/ ص٢٥٧؛ السخاوي: الضوء، ج٦/ ص١٠٠-١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٧٥.

وهذا اتهام خطير قلما نجد له نظير ان يقوم مؤرخ مشهور مثل ابن حجر بتبني اتهام بالسرقة لأحد المؤلفين أطلقه احد العلماء المعاصرين له وهـو ابـن حجي الحسباني(ت ٨١٥هـ/١٤١٥م). وفي كتاب آخر له قدم ابن حجر نقدا آخر لهذا العالم بقوله: " وقد جمع شيخنا العلامة، ذو التصانيف الواسعة، سراج الدين ابن المُلَقَّن شيئاً من ذلك، وقفت عليه، فلم يشفِ لي غليلاً " [(١)]. ويفهم مـن هـذا النص انه يشير الى ان مؤلفات ابن الملقن كبيرة الحجم لكن لا عمق علمي فيها، ويلاحظ ايضاً ان ابن حجر وقع فيما يمكن ان يوصف بالتناقض فهو ينعت شيخه بالعلامة ثم ينتقص من مؤلفاته.

ثانياً: نقد المؤرخين

توفر ملكة النقد لدى المؤرخ امراً في غاية الاهمية، لأنه بدون ذلك لا يستطيع ان يميز بين الصحيح والسقيم، ولا يستطيع الحكم على ما بين يديه من اخبار او روايات، وان ابن حجر كان له حظ كبير في دقته وملاحظته، والأدلاء برأيه في مواضع عديدة، فكانت لديه النظرة النقدية التحليلية القادرة على الموازنة بين الاحداث واصدار الحكم عليها، فتتجلى روح النقد لديه في نظرته التقييمية للمؤلفين والعلماء السابقين ولإعمالهم التي خلفوها، فمنهم من نال اعجابه وحظي بالثناء عليه، ومنهم من وقف معه وابدى رأيه فيه وفيما كتبه.

فنقد المصدر خطوة تمهيدية لا بد من القيام بها حتى نستطيع الوصول الى النص الحقيقي الذي وضعه مؤلفه، وتحديد المصدر الذي صدرت عنه، نقد ابن كثير مصادره في العديد من الروايات.

نجده ينتقد ابن حبان، ما نجده في ترجمة حسان بن بلال المزني البصري(حدود ١٠٠هـ)، فقد ذكره ابن حبان في الثقات قائلاً : "قال يروي عن عمار إن

(١) رفع الإصر، ج١/ ص٨٩.

كان سمع منه وقال بن حزم مجهول لا يعرف له لقاء عمار قلت: وقوله مجهول قول مردود فقد روى عنه جماعة كما ترى ووثقه بن المديني وكفى به"[١].

اما في ترجمة سليمان بن يسار الهلالي(ت ١٠٧هـ)، كان مكاتبا لأم سلمة روى عن ميمونة وأم سلمة وعائشة، فيرد كلام البزار قائلاً : "قال البزار لم يسمع من عائشة قلت وهو مردود فقد ثبت سماعه منها في صحيح البخاري"[٢]. وان ما يثبت صحة ما ذكره ابن حجر ان اغلب المصادر التاريخية توافق ما جاء به ابن حجر في تصويبه لتلك الرواية[٣].

ونجد ابن حجر ينتقد ابن الجوزي لارتكابه خطا في ذكره كلام سفيان الثوري عندما ترجم لسوار بن عبد الله بن قدامة العنبري(ت ١٥٦هـ) ما نصه: "وقد غلط بن الجوزي هنا غلطا فاحشا فذكر كلام سفيان الثوري في هذا في ترجمة حفيده المتقدم وذلك وهم فإن الثوري مات قبل أن يولد سوار الأصغر"[٤]. فان تاريخ وفاة سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة وهو حفيد صاحب الترجمة سنة ٢٤٥هـ[٥]، وان وفاة سفيان الثوري سنة ١٦١هـ.

وهذا نجده ايضا في نقده لتاريخ الطبري حيث نجد ذلك في ترجمة زياد بن علاقة بن مالك الثعلبي أبو مالك الكوفي(ت ١٢٥هـ) قائلاً: "ورأيت في تاريخ

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٢/ ص٢٤٧.

(٢) تهذيب التهذيب ، ج٤/ ص٢٣٠.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧٢/ ص٢٢٩؛ النووي، تهذيب الاسماء، ج١/ ص٢٣٥؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٢/ ص١٠١؛ السيوطي، اسعاف المبطأ، ج١/ ص١٢.

(٤) تهذيب التهذيب، ج٤/ ص٢٦٩.

(٥) ابن حبان، الثقات، ج٨/ ص٣٠٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٨/ ص٢٩١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢/ ٣٢١.

الطبري نقلا عن هشام بن الكلبي أن زيادا أدرك الجاهلية وهذا عندي غلط"(١). وبهذا رفض ابن حجر هذه الرواية، وقد صحح تلك الرواية بالشاهد التاريخي، وان سنة وفاة صاحب الترجمة سنة ١٣٥هـ وانه عاش ١٠٠ سنة(٢). وهذا ما صرحت به اغلب المصادر التاريخية، ولكن هنالك اختلاف في سنة الوفاة فحدد سنة ١٢٥هـ(٣).

اما نقده لابن المنادي(ت ٣٣٦هـ)(٤)، والذي عدة من الاغلاط الفاحشة، ففي ترجمة سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش(ت ١٤٨هـ) ما نصه: "وقول بن المنادى الذي سلف أن الأعمش أخذ بركاب أبي بكرة الثقفي غلط فاحش لأن الأعمش ولد أما سنة ٦١هـ أو سنة ٥٩هـ، على الخلف في ذلك وأبو بكرة مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين فكيف يتهيأ أن يأخذ بركاب من مات قبل مولده بعشر سنين أو نحوها وكأنه كان والله

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٣/ ص٣٨١.

(٢) تهذيب التهذيب ، ج٣/ ص٣٨٠.

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٨/ ص١٠١؛ مغلطاي، اكمال تهذيب الكمال، ج٥/ ص١١٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥/ ص١٠؛

(٤) ابن المنادي: احمد بن جعفر ابن المحدث محمد بن عبيد الله ابن ابي داود بن المنادي البغدادي، ولد سنة ٢٥٧هـ، عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد، دفن في مقبرة الخيزران. قيل: صنف في علوم القرآن ٤٠٠ كتاب. وقال ابن النديم: له مائة ونيف وعشرون كتابا. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١١/ ص٥٤٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦/ ص١٨٠؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج١/ ص٣٥٣، الزركلي، الاعلام، ج١/ ص١٠٧.

أعلم أخذ بركاب بن أبي بكرة فسقطت بن وثبت الباقي وإني لأتعجب من المؤلف مع حفظه ونقده كيف خفي عليه هذا"(١).

ونجده في بعض الاحيان يصحح الرواية بأسلوب التعجب والرفض، ففي ترجمة الصحابي مالك بن الحويرث انه توفى سنة ٩٤هـ ، حسب ما ذكره ابن عبد البر، فيردها ابن حجر ويعلق على ذلك بقوله: "ذكره بن عبد البر أنه توفي سنة أربع وتسعين وتبعه على ذلك بن طاهر وغيره وفيه نظر بل لا يصح ذلك لاتفاقهم على أن آخر من مات بالبصرة من الصحابة أنس بن مالك حتى أن بن عبد البر ممن صرح بذلك والظاهر أن ذلك تصحيف وأن وفاته سنة أربع وسبعين بتقديم السين"(٢).

ثالثاً: نقد الأدباء واللغويين

وجّه المؤرخون المصريون خلال القرن التاسع الهجري عدة أنواع من النقد للمترجم لهم، ومن هؤلاء الأدباء واللغويون، مؤكدين في نقدهم على السيرة العلمية للمترجم له، من حيث معرفته بعلوم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها، وعروض الشعر وقوافيه، أي المقاييس اللغوية التي حددها علماء اللغة لجودة الأسلوب وفصاحته.

لقد اتَبَع ابن حجر النقد الإيجابي والسلبي للشخصيات المُتَرجم لها، ففيما يتعلق بالنقد الإيجابي، نجد أنه قد رَكز على طائفه من الأدَباء واللغويين ممن فاقوا أقرانَهم في هذه الصنَعة، ولَهُم مؤلفات فيها، ومنهم: الأديب عبد الوهاب بن

(١) تهذيب التهذيب، ج٤/ ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ج١٠/ ص١٤.

أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي(ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)[١]، الذي وصف بانه: " كان مشكور السيرة ماهراً في الفقه والأدب ونظم قصيدة على قافية الراء من بحر الطويل ألف بيت ضمنها غرائب المسائل في مذهب الحنفية وشرحها في مجلدين وهي نظم جيد متمكن"[٢].

والأديب يوسف بن الحسن المنصورية الحموي (ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٨م)[٣] "وجدّ ودأب وحصّل إلى أن تميّز ومهر، وفاق أقرانه في العربية وغيرها من العلوم"[٤].

---

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي، ولد قبل الثلاثين واشتغل وتمهر وتميز في العربية والفقه والقراءات والأدب، وله شرح درر البحار تصنيف الشيخ شمس الين القونوي الذي جمع فيه مجمع البحرين وضم إليه مذهب أحمد وعاش القونوي بعده مدة طويلة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٤٢١.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٤٢٤.

(٣) يوسف بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن مسعود بن علي بن عبد الله ابن خطيب المنصورية الحموي القاضي جمال الدين، ولد في سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م، أخذ عن بهاء الدين الإخميمي المصري بدمشق وصدر الدين الخابوري وتاج الدين السبكي وجمال الدين الشريشي، شرح الاهتمام مختصر الإلمام في ست مجلدات وألفيّة ابن مالك وفرائض المنهاج وغير ذلك، درس وأفتى، وله نظم حسن وشهرة ببلده وغيرها. ينظر: ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١/ ص٢٠٧؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٣٣٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص١٨٦؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج٢/ ص٣٤٢.

(٤) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٣٣٦.

والشاعر علي بن محمد بن إسماعيل الزبيدي (ت٨١٢هـ/ ١٤١٠م) "اشتغل بالأدب ففاق أقرانه... وكانت طريقة شعره الانسجام والسهولة دون تعاني المعاني التي لهج بها المتأخرون "[١].

ويصف ابن حجر المَكانة العلمية التي احتلها المترجم له من بين أقرانهِ، وفي الوقت ذاته ينتقدهُ سلبيا في موقف آخر، بأنه ادَعى أنْ شعره يشبه شعر المتنبي، وأبي تمام، كَقولهِ في وصف الشاعر محمد بن الحسن بن عيسى المكي الحلوي (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م): "تعاني النظم فمهر فيه وفاق أقرانه إلا أنه كان عريض الدعوى يحسب أن شعره يشبه شعر المتنبي وأبي تمام"[٢].

وكذلك في وصف الشاعر علي بن سعيد الخياط الصبيبي الملقب بالشوش (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م)[٣] إذ قال: " كان يتعانى النظم ويدعى إنه أشعر من المتنبي وأبي تمام وينشد من شعره الكثير فيعجب به ويحلف إن الإنس والجن يعجزون أن يأتوا بمثله وكان قليل البضاعة من العلم"[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ٤٠٢.

(٣) علي بن سعيد الصبيبي بمهملة وموحدتين مصغرا علاء الدين أبو سعيد الخياط الشاعر يلقب بالشوش بمعجمتين الأولى مضمومة والواو ساكنة ولد(بعد ٧٠٠هـ/ ١٢٩٨م) نسبة إلى قلعة الصبية وهي قلعة بين صفد ودمشق، ومدينة هذه القلعة بليدة بانياس. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٥١-٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٣/ ص٥١-٥٢.

وانتقد الاديب أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب(٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)(١)، لأنه كان يمدح الأكابر ونظم في الوقائع وله بديعية على طريقة الحلي ولم يكن ماهراً في العربية وقد تهاجى هو والأديب البارع شرف الدين عيسى العالية وجمع كتاباً سماه نزه الناظر في المثل السائر وغير ذلك(٢).

وابن حجر لم يعط دليلاً على عدم معرفة المترجم باللغة العربية ، ولهذا فالبحث يقتضي الوقوف على الترجمة لمؤرخ اكثر قرباً للمترجم من ابن حجر العسقلاني ، ونجد ترجمته عند المقريزي بما يخالف ما جاء به ابن حجر اذ قال: " قرأ القراءات، واخذ طرفا من الفقه على مذهب الشافعي، وغلب علية الأدب، وأكثر منه بحيث لم تكن واقعة ولا حادثة من جد أو هزل إلا وينظم فيها، كان لطيف العشرة، حسن الصحبة، حاضر النادرة، وقال الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان ينظم الفنون السبعة، وصحبته سنين عديدة، وأنشدني كثيرا"(٣). فالصحبه التي امتدت لسنوات عدة جعلت من المقريزي اكثر دراية به من غيره.

---

(١) أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب القاهري ، ولد قبل(٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، واشتغل بالفقه على المذهب الشافعي، ثم تولع بالأدب ونظم الشعر، وعنده فضيلة تامة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفاً. المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٢٠٣-٢٠٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج١/ ص٣٨٨-٣٨٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٧٧.

(٢) المصدر نفسه ، ج١/ ص٢٨٧.

(٣) درر العقود، ج١/ ص٢٠٣-٢٠٦.

ونضيف الى هذا ما ذكره ابن تغري بردي عنه قائلاً: " وكان بارعاً ذكياً، وعنده فضيلة تامة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَــى ثلاثين مصنفاً... ونظم الشعر وهو ابن ثلاثة عشر سنة، وكان له اليد الطولى في النظم والنثر"[١].

ويبدو ان ابن تغري بردي اعتمد ترجمة المقريزي وليس ابن حجر، لان الاديب المترجم مات قبل ولادة ابن تغري بردي سنة ٨١٣هــــ/ ١٤١٠م فكــان لابد ان يترجم له بالاعتماد على المصادر فوقع اختياره على ترجمة المقريــزي له.

وهذا ما نَجدهُ أيضاً في ترجمة الشاعر محمد بن أحمد بن كميل المنصوري
(ت ٨٤٩هــ/ ١٤٤٥م): "اشتغل كثيراً وحفظ الحاوي، وكان يستحضر ونظم الشعر ففاق الأقران"[٢].

ولكن في الوقت نفسه يَصف ابن حجر هذه الشَخصية بأن الغرض من شعره خدمةُ أغراضهِ الشَخصية، كنحو قوله :"له مدائح نبوية مفلقه وقصائد في جماعة من الأعيان، ولم يكن يتكسب بذلك وإنما يمدح لتحصيل جاه الممدوح في الدفع عنه أو المساعدة له"[٣].

---

(١) المنهل الصافي، ج٢/ ص١٧٧-١٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٣٦.

بالفعل تولت هذه الشخصية وعن طريق المدح في الشعر عدة مناصب سياسية وإدارية، منها نيابة الحكم وقضاء بالمنصورة[١].

ونلحظ ان ابن حجر قد استعمل في كتابه أنباء الغمر عـدة ألفـاظ نقديـة للمترجم لهم، وحين نتفحص هذه النقودات يتضح أنها تعكـس السـلوك الـديني والاجتماعي، فمن الأمثلة التي يقع فيها النقد هو السلوك الديني والعلمي للمتـرجَم لَه ، وذلك ما أورده في ترجمة شهاب الدين أحمد بن أبـي حجلـة التلمسـاني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٥م)[٢]، ما نصه: "كان حنفي المذهب حنبلي المعتقد، وكـان كثير الحط على الاتحادية، وصنف كتاباً عارض به قصائد ابن الفارض[٣]، كلها

---

(١) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٠٦.

(٢) أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد شهاب الدين التلمساني، المعروف بابن أبي حجلة، نزيل دمشق ثم القاهرة، ولد بزاوية جده بتلمسان سنة (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م)، مهر في الأدب، ونظم الكثير، ونثر فأجاد، وترسل ففاق، وعمل المقامات وغيرها، ومصنفاته كثيرة تبلغ ستين مصنفاً: من ذَلِكَ كتابة ديوان الصبابة، والسكردان، وله خمس دواوين في مدح الرسول ﷺ، وسبع أراجيزا سبعة آلاف بيت، وأما الشعر فله فيه اليد الطولي والمعاني الغريبة والاختراعات العجيبة، مع كثرة النظم وسرعة البديهة، وخفة الروح والتخيل الصحيح، وكان حنفي المذهب حنبلي المعتقد، ومات في ذي القعدة سنة(٧٦٦هـ/ ١٣٧٥م)، في الطاعون. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج١/ ص٣٢٩-٣٣٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٣٩-١٤٠.

(٣) ابن الفارض: شرف الدين ابو القسم عمر بن ابى الحسن علي بن المرشد بن على الحموي المصري العارف المشكور والشاعر المشهور، له ديوان شعر لطيف واسلوب فيه رائق طريف ينحو منحى طريقة الفقراء، جمع في شعره بين صنعة عشاق الجناس والطباق وبين معاني القوم الرقاق ورموزهم الدقاق ومن العجب اجتماع الحالين وشتان

نبوية، وكان يحط عليه لكونه لم يمدح النبي ﷺ، ويحط على نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم، وقد امتحن بسبب ذلك على يد السراج الهندي. قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه: كان ابن أبي حجلة يبالغ في الحط على ابن الفارض حتى أنه أمر عند موته فيما أخبرني به صاحبه أبو زيد المغربي أن يضع الكتاب الذي عارض به ابن الفارض وحط عليه فيه في نعشه ويدفن معه في قبره، ففعل به ذلك، وكان يقول للشافعية إنه شافعي، وللحنفية إنه حنفي، وللمحدثين إنه على طريقتهم. قال: "كان بارعاً في الشعر مع أنه لا يحسن العروض، وعارض المقامات فأنكروا عليه. قال: وكان كثير العشرة للظلمة ومدمني الخمر"(١).

ويتضح من النص السابق أن السبب والدافع وراء نقد ابن حجر لابن ابي حجلة، كان دافع ديني مذهبي، فابن حجر شافعي المذهب، وصاحب الترجمة حنبلي المذهب، والدليل على هذا ان المقريزي وابن تغري بردي يروي خلاف ما جاء عند ابن حجر فيقول: "الأديب البارع شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد، المعروف بابن أبي حجلة التلمساني الحنفي، شيخ صهريج منجك"(٢).

في حين يصفه ابن تغري بردي بقوله: "كان إماماً بارعاً، عالماً فقيهاً، أديباً شاعراً... ومهر في عدة علوم، وغلب عليه الأدب، وقال الشعر الجيد، وصنف ودوّن، ومصنفاته كثيرة تبلغ ستين مصنفاً: من ذَلِكَ كتابة ديوان الصبابة، والسكردان، وله خمس دواوين في مدح الرسول ﷺ، وسبع أراجيزا سبعة آلاف

ما بين الطريقين، توفي سنة ٦٣٢هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج٣/ ص٤٥٤؛ ابن الغزي، ديوان الاسلام، ج١/ص٧١.

(١) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٢٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢/ ص٢٨٩.

بيت، وأما الشعر فله فيه اليد الطولى والمعاني الغريبة والاختراعات العجيبة مع كثرة النظم وسرعة البديهة وخفة الروح والتخيل الصحيح"(١).

ويؤيد التقي الغزي ما ذكره المقريزي وابن تغري بردي في علمية المترجم له، فيذكر نوادره وآثارة الفكرية التي تشرح الصدر كنحو قوله:"كان كثير النوادر، والنكت، ومكارم الأخلاق... وجمع مجاميع حسنة؛ منها:(ديوان الصبابة) و(منطق الطير) و(السجع الجليل فيما جرى من النيل) و(السكردان) و(الأدب الغض) و (أطيب الطيب) و(مواصيل المقاطيع) و(النعمة الشاملة في العشرة الكاملة) و(نحر أعداء البحر) و(عنوان السعادة) و(دليل الموت على الشهادة) و (قصيرات الحجال) وغير ذلك... وله شعر كثير، وعنده أدب غزير، ومن أراد غير ما هنا، فعليه بمراجعة دواوينه، ومطالعة مجاميعه، فإن فيما ما يُقر العين، ويشرح الصدر"(٢).

مما قد يلحق بهذا الجانب الطَّعن في المترجم من جهة كونه على معتقد يحكم ابن حجر ببطلانه، فقد انتقد الشاعر أبو بكر بن بهادر بن سنقر(ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)(٣)، فيقول: "كان كثير الهجاء وبلغ ديوانه مجلدات وكان شيعياً... ويقال كان صحيح العقيدة إلا أنه يحب أهل البيت وسلك في شعره طريق الإغراب وكان يوسوس عند النية ليقرنها بالتكبير في أول الصلاة فربما كرر التكبير حتى يفرغ الإمام من الرباعية وكان يدعى أنه يجتمع بالجن ويقال إنه اجتمع بابن تيمية

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص١٣٩-١٤٠؛ النجوم الزاهرة، ج٣/ ص٢٢٩.

(٢) التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١/ ص١٥٨-١٥٩.

(٣) أبو بكر بن بهادر بن سنقر الشاعر أسد الدين، وكان يلقب أسد الدين وسيف الدين، وكان له أقطاع، وكان قد سمع من ابن مشرف. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٥٧.

فقال له: بلغني أنك تفضل بلالاً على علي، فقال ابن تيمية: أنا ما فضلته ولكن الله فضله، قال: في أين؟ قال: في قوله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾، فقال له: في الاستدلال بهذه الآية على المدعي نظر، قال: اجلس أقرره لك، فأبى وقال: بلغني أنك ما ناظرت أحداً فقطعك"[(١)].

وهذا نلحظه أيضاً في ترجمة زين الدين ابن الخراط (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)[(٢)] نزيل القاهرة، الأديب الشاعر، اشتغل بالفقه ثم تولع بالأدب واشتهر، وأكثر من مدح الأكابر من أهل حلب... واعتراه في آخر عمره انحراف بعد أن كان في غاية اللطافة والكياسة... وكان كثير النفور من الناس جداً[(٣)].

ولكن نرى ابن تغري بردي يختلف مع ابن حجر في نقده لهذه الشخصية فيقول: "كان فاضلاً، أديباً بليغاً، كان يسلك في نظمه الفحولية وطريقة السلف من القوة والحماسة، ومدح الملك الأشرف بقصيدة عندما أسر الأشرف ملك قبرس جينوس الفرنجي، وأنشدها بحضرته في أعيان الدولة، وخلع عليه... وأجاب الشيخ زين الدين المذكور أهل المغرب، لما أرسلوا لطلب نجدة من الملك

---

(١) المصدر نفسه، ج١/ ص٥٧.

(٢) زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه، المعروف بابن الخراط المروزى الأصل، ثم الحموى، الأديب، الشاعر، مولده بحماة في سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م)، ونشأ بحلب وتفقه بها، وبرع في الأدب، واتصل بخدمة نائبها الأمير جكم من عوض، وله فيه غرر مدائح، ثم ولي في الدولة المؤيدة شيخ كتابة سر طرابلس، ثم عزل عنها، وولي كتابة الإنشاء بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن توفي ليلة الثلاثاء ثاني المحرم سنة(٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م). ينظر: المقريزي، السلوك ، ج٣/ ص٣٩٧؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج٢/ ص١٣٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٠٨.

(٣) ابن حجر، انباء الغمر، ج٢/ ص١٣٨.

الأشرف برسباي، بقصيدة طنانة سمعتها من لفظه، ثم قال والله ما يقدر أحد يجيب مثل هذه القصيدة، وبلغ ما قاله الحافظ شهاب الدين قاضي القضاة شيخ الإسلام ابن حجر فقال: نعم، صدق"(١).

والحق أن هذا الحكم القطعي الذي أصدره ابن تغري بردي بحق هذا الأديب مدعياً فيه تفوقه على جميع الادباء، وعجزهم عن مجاراة شعره، لا يمكن الأخذ به، والغريب أن بعض المؤرخين الذين ترجموا له وافقوه على ذلك أو سكتوا عن رده، وبهذا يكون ابن تغري بردي قد ابتعد عن نقد هذه الشخصية لوجود صحبه بين الاثنين فيقول: "كان صاحبنا، وأنشدنا كثيراً من شعره"(٢).

أما فيما يخص النقد العلمي للمترجم له، فلم يكن ملماً بفنون اللغة العربية، التي تعد من أهم أدوات الأديب، فيذكر ابن حجر في ترجمة، أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب (ت٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)(٣) :"لم يكن ماهراً في العربية، فيوجد في شعره اللحن، وقد تهاجى هو وعيسى بن حجاج وله "نزهة الناظر في المثل السائر "وكان حاد البادرة، وله ديوان قصائد

(١) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٠٩.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٢٢٢.

(٣) أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب القاهري ولد قبل(٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، واشتغل بالفقه على المذهب الشافعي، ثم تولع بالأدب ونظم الشعر، وعنده فضيلة تامة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفاً. المقريزي، درر العقود، ج١/ ص٢٠٣-٢٠٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج١/ ص٣٨٨-٣٨٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٧٧.

نبوية نظمها بمكة سماها "فتوح مكة" ديوان في مدائح ابن جماعة سماه "قطع المناظر بالبرهان الحاضر" و "الدر الثمين في التضمين"[١].

وابن حجر لم يعطِ دليلاً على عدم معرفة المترجم باللغة العربية، ولهذا فالبحث يقتضي الوقوف على الترجمة لمؤرخ اكثر قرباً للمترجم من ابن حجر العسقلاني، ونجد ترجمته عند المقريزي بما يخالف ما جاء به ابن حجر، إذ قال: "قرأ القراءات، وأخذ طرفا من الفقه على مذهب الشافعي، وغلب عليه الأدب، وأكثر منه بحيث لم تكن واقعة ولا حادثة من جد أو هزل إلا وينظم فيها، كان لطيف العشرة، حسن الصحبة، حاضر النادرة، وقال الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان ينظم الفنون السبعة، وصحبته سنين عديدة، وأنشدني كثيرا"[٢]. فالصحبه التي نوه إليها المقريزي امتدت لسنوات عدة، جعلت من المقريزي أكثر دراية وعرفه به من غيره.

ونضيف إلى ذلك ما ذكره ابن تغري بردي عنه قائلاً: "كان بارعاً ذكياً، وعنده فضيلة تامة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفاً، ومن مصنفاته كتاب نزهة الناظر في المثل السائر، وعنوان السعادة في المدائح النبوية، ولطائف الظرفاء، وفرائد الإعصار في مدائح النبي المختار، والمسلك الفاخر موشحات نبوية أيضاً، وصلة المستحق، وكتاب صدقة السر، وفنون مكة مدائح نبوية، والعهود العمرية مرجز في أمر النصارى واليهود، وبديع المعاني في أنواع التهاني، والدر الثمين في حسن التضمين، ونتائج الأفكار، وزهر الربيع في التشابيه، وحسن الاقتراح في وصف الملاح،

(١) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص١٦٦.

(٢) درر العقود، ج١/ ص٢٠٣-٢٠٦.

ذكر فيه ألف مليح وصفاتهم... ونظم الشعر وهو ابن ثلاثة عشر سنة، وكان له اليد الطولى في النظم والنثر"[١].

ويبدو ان ابن تغري بردي اعتمد ترجمة المقريزي وليس ابن حجر؛ لأن الأديب المترجم مات قبل ولادة ابن تغري بردي سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م فكان لابد ان يترجم له بالاعتماد على المصادر فوقع اختياره على ترجمة المقريزي له.

ونقد ابن حجر الاديب فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس (ت ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)[٢]:"كان قليل البضاعة من العربية فربما وقع له اللحن الظاهر وأما الخفي فكثير جدا"[٣].

وكان على ابن حجر أو غيره من المؤرخين، حينما ينتقدوا احداً ان يدللوا على ذلك بأدلة تاريخية، إذ كان بإمكانه أن يذكر أمثلة على ما وقع به من اللحن.

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٧٧-١٧٨.

(٢) فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، ولد في شعبان سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، ونشأ في نعمة وعز في كنف أبيه، فتخرج وتأدب ومهر ونظم الشعر وهو صغير السن جداً، وكان أبوه يصحب الشيخ بدر الدين البشتكي فانتدبه لتأديب ولده، ونظم الشعر الفائق، وباشر في حياة أبيه توقيع الدست بدمشق وكان أبوه وزيراً بها، ثم قدم القاهرة وساءت حالته بعد أبيه، ثم خدم في ديوان الإنشاء وتنقلت رتبته فيه إلى أن جاءت الدولة المؤيدية، فأحسن القاضي ناصر الدين البارزي كثيراً واعتنى به . ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤٧٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص١٧٢.

(٣) ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٤٧٩.

ونلاحظ في بعض الاحيان أن ابن حجر ينتقد شعر المترجم له بشكل واضح: فمن ذلك قوله في ترجمة الحسن بن محمد بن علي العراقي(ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م): "كان شاعراً ماهراً يمدح الأكابر ويتكسب"[(١)].

ونستنتج من هذا النقد أن ابن حجر قد انتقد حالة اجتماعية كانت بارزة في تلك الفترة ولا زالت وهي نظم الشعر لدافع اقتصادي هو توفير سبل العيش.

(١) المصدر نفسه، ج١/ ص٢٥٨.

الفصل الخامس

نقد الجانب الاجتماعي

قسم المؤرخ ابن خلدون المجتمع المصري الى سلطان ورعية[١]، وقصد بالسلطان السلطة الحاكمة والفئات المرتبطه بها، أما الرعية فهم المصريون بجميع طوائفهم وفئاتهم، وأما المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) فقد قسم المجتمع المصري في عصره الى سبع طوائف[٢]، فقد جعل أهل الدولة على رأس الهرم ثم بين تفاوت المستوى الاقتصادي لكل فئة حسب نشاطها في المجتمع وجعل أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوي الرفاهية على قمة الرعية، يليهم متوسطو الحال من التجار وارباب السوق، واهل الفلح، والفقهاء ويشملون طلاب العلم، وارباب الصنائع والمهن، وذوو الحاجة والمسكنة [٣].

ومن البديهي أنه كانت هنالك فوارق بين الشرائح الاجتماعية، فالمجتمع المصري قد انقسم الى طبقتين هما الحكام والمحكومون، وأن بعض فئات المصريين كانت على قدر من الثراء بفضل التجارة أو غيرها، مما جعلهم يتميزون عن بقية الرعية، ونلاحظ أن هنالك فئات قد أصبحت ضمن الفئات الخاصة المقربة من السلطة الحاكمة، وقد تقدموا في الدولة فبعضهم أصبح يتولى عدة مناصب مهمة منها منصب القضاء فضلا عن تولي التدريس وهذا ما نجده في مهنة الطب أيضاً.

أما فيما يخص فئة التجار التي برزت في عصر السلاطين المماليك واصبحت مقربة من السلطة الحاكمة بسبب توليهم مناصب مهمة في الدولة، وحاجة الدولة اليهم في تلبية متطلباتهم من البضائع والسلع والرقيق.

---

(١) المقدمة، ص١٨٣.

(٢) اغاثة الامة، ص٧٢-٧٣.

(٣) السلوك، ج٢/ ص٨١١؛ عاشور، المجتمع المصري، ص١٧.

ومن فئات المجتمع الأخرى أصحاب المهن والصناعات الذين امتهنوا عدة صناعات كان لها تاثيرها في المجتمع المصري، فسوف نلاحظ أن هنالك من الصناع من مهر في صنعته وقد لقب بلقب المعلم، وأن من المهن من أصبح لها مكانة وعلاقة بالسلطة الحاكمة وهي مهنة البناء والهندسة، أما مهنة التجليد والنسخ فمرتبطة ارتباط بالجانب العلمي لكونها لها علاقة بالتدوين.

وسيلاحظ المتأمل في ترجمة هؤلاء الحرفيين أن المؤرخين لم يذكروا أغلب سنيّ وفياتهم، فضلا عن الاستطراد بتفصيل تراجمهم؛ ويبدو أن السبب في ذلك يعود الى ان هؤلاء أصحاب مهن شعبية اغلبهم من الطبقة العامة، ولم يكونوا من المشاهير كي تحفظ تواريخ وفياتهم.

كانت مصر في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، قد شهدت اهتماماً بالطب والاطباء، وسوف نستعرض سيرهم للوقوف على سلوكياتهم ومجهوداتهم لخدمة المجتمع.

ونلاحظ بروز بيوتات اشتهرت بصنعة الطب مثل أسرة ابن صغير، وعلى الرغم من قلة المؤلفات الطبية لأطباء بني صغير إلا أن شهرة العائلة تكمن في أنها قدمت أطباء عالجوا سلاطين المماليك وأمرائهم، وبخاصة في عهد الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٩م) ، وقد ذاعت شهرة احد أفراد هذه الأسرة في عصر سلاطين المماليك، لما كان يتصف به من صفات تمثلت بروح التسامح ومساعدة الناس بمال قد افرده للثواب، فضلاً عن مساعدتهم بقيمة الدواء، وهو الطبيب علي بن عبد الواحد المعروف بابن صغير (ت ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م)[1] الذي ترجمه ابن حجر بقوله: " كان فاضلاً مفنناً انتهت إليه المعرفة

---

(١) علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير علاء الدين بن نجم الدين بن شرف الدين رئيس الأطباء بالديار المصرية، مات بحلب في ذي الحجة، ثم نقلته ابنته إلى مصر فدفنته

... وكان له مال قدر خمسة آلاف دينار قد أفرده للقرض، فكــان يقــرض مــن يحتاج إلى ذلك برهن من غير استفضال بل ابتغاء للثواب، كان يصــف الــدواء للموسر بأربعين ألفاً ويصف الدواء في ذلك الداء بعينه للمعسر بفلس"[1]. وهكــذا نجد ان اشادة ابن حجر بهذا الطبيب جاء عبر تقييم مكانته كطبيب واجادته لهــذه المهنة، ومن ثم تعامله مع المرضى والمحتاجين بأنسانية قلما نجدها عند الاطباء المترجمين، ولذلك نال المدح الذي سجله عنه ابن حجر.

واستمرت اشادة المؤرخين بمكانة الاطباء المهنية، وهذا ما نجده في ترجمة سليمان الدمشقي (٧٣٢هــ/ ١٣٣٢م)[2] الذي قال عنه ابن حجر:" أشتغل بالطب وتعانى العلاج فمهر فيه جداً " [3].

من المعروف أن مصر قامت بنشاط تجاري كبير بين الشرق والغرب، مما ادى الى ثراء التجار وجعلهم طبقة مترفة ومتنفذة الى حد بعيد، وقد ادرك سلاطين المماليك هذه الحقيقة، وأحسوا أن طبقة التجار دون غيرها هي المصدر

بتربتهم، وكان ذا حدس صائب جداً يحفظ عنه المصريون من ذلك أشياء، وكان حسن الصورة بهي الشكل جميل الشيبة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٧٩؛ انباء الغمر، ج١/ ص١٨٢.

(١) الدرر الكامنة، ج٣/ ص٨٠.

(٢) سليمان بن داود بن سليمان الدمشقي رئيس الاطباء، سمع شيئاً من الحديث على الكمال الدنيسري بقراءة البرزالي، وطلب إلى أسندمر نائب طرابلس وهو ضعيف فعالجه فبرىء فأعطاه كثيرا واشتهر امره وكان لا يعرف شيئا من الحكمة وإنما يعرف الطب بالتجارب وكان يصحب الصاحب شمس الدين وحصل كتبا عظيمة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص١٥١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢/ ص١٥١.

الأساس الذي يمد الدولة بالمال، لاسيما في ساعات الحرج والشدة، لذلك عمد السلاطين الى تقريب التجار منهم، واصطفوا منهم ندماء وأصحاباً، وهذا أمر نادر الحصول لغير المماليك، وهكذا أصبحت لهذه الفئة مع مرور الوقت مكانة متميزة في عصر سلاطين المماليك، بل أن بعضهم تقلد مراكز مهمة في الدولة، فاذا ارادوا مدح شخص قالوا عنه انه" من بيت تجارة ووجاهة " [١]، وفي دمياط ابيح لبعض التجار ان ينوبوا عن قضاتها[٢]، وكذلك نلاحظ أن هنالك ميزه قد امتاز بها بعض التجار تتعلق بحفظهم للقرآن وتبحرهم بالعلوم الدينية وبالأخص الفقه[٣].

ولهذا كان بديهياً أن يصبح لهذه الفئة تأثيرٌ ما على المجتمع، حتى أن بعض السلاطين لم يستطيعوا تجاهل هذه الشريحة المهمة، فعمدوا الى اشراكهم في الحياة السياسية، وكانت ممارسة التجارة على جميع مستوياتها من أهم الانشطة الاقتصادية، وكان لوجوه التجار مكانة اجتماعية مميزة في عصر المماليك.

ونلاحظ أن هنالك من التجار من كان له جاه عند السلاطين، وممن كان لوفاته الحزن والتأسف من قبل بعض السلاطين، ففي ترجمة الخواجا[٤] عثمان

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٤٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ص٤٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١/ص١٣٦ ص٧١ ،ص ١٣٦، ج٢/ ص٢٤٦، ج٣/ ص١٥٤.

(٤) الخواجا: من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم وهو لفظ فارسي ومعناه السيد والخواجكي بزيادة كاف نسبة إليه للمبالغة وكأن الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٦/ ص١٢.

بن محمد الاسعردي (ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)[١]، ذكر ابن حجر: " كان له جاه وصيت في البلاد"[٢]، والسبب في ذلك ان هذا التاجر كان من بين التجار الذين احضروا والد السلطان برقوق الى القاهرة[٣].

ومن التجار من كان يتصف بالتسامح، فجعلوا للفقراء نصيبا من ثروتهم من باب التقوى، وهذا ما نجده في ترجمة ابن طسان(ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)[٤]، الذي:" كان أحد التجار المياسير، وله إحسان وأفضال ومال، ولا يشدد في تقاضي ماله من الدين، ويتصدق"[٥].

ويظهر من هذا الكلام ان المجتمع المصري كان يعاني من الفقر بسبب سياسات السلاطين المماليك مما دفع التجار الميسورين الى مساعدة الناس الفقراء.

ان الحرف والصناعات تكشف عن حالة المجتمع من حيث درجة ثرائه ورفاهية ابنائه او ما هو خلاف ذلك، والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك كان مجتمعاً طبقياً في اتجاهاته وعلاقاته، وهو الامر الذي انعكس

---

(١) عثمان بن محمد بن أيوب بن مسافر الإسعردي، الخواجا، التاجر في المماليك، هو الذي أحضر والد برقوق إلى القاهرة، وهو الذي أحضره من قبل أبيه في دولة الأشراف، وكان قد سعى في إبطال مكس الرمان بدمشق، فاجيب إلى ذلك. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١/ ص٩٠.

(٣) المصدر نفسه،ج١/ ص٩٠.

(٤) يوسف بن أحمد بن ذبيان بن أبي الحسن البعلي، جمال الدين، التاجر، المعروف بابن طسان. ينظر: ابن حجر، انباء الغمر، ج١/ ص١٠٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١/ ص١٠٧.

بوضوح على كافة مظاهر الحياة اليومية، وان طبيعة النظام السياسي في ذلك العصر قد فرضت انماط الحرف والصناعات التي ازدهرت في المجتمع المصري، كما انها جعلت بعض هذه الحرف ترتبط بالناس في حين ارتبطت اخرى بالحكام.

وهذا ما نجده ايضا في ترجمة ابن حجر لمحمد كمال الدين[١] الذي: " تكسب مع النساخة بحانوت في البر مع خير واستقامة وتقنع، وكثر تردده إلى بل كتب لي ولغيري من تصانيفي. ونعم الرجل ديناً وانجماعاً وسكوناً "[٢].

وكانت صناعة السكر احدى الحرف الغذائية المهمة في عصر سلاطين المماليك لارتباطها بمظاهر حياة الرفاهية التي عاشها السلاطين والأمراء من ناحية، ولارتباطها ببعض الاحتفالات والعادات والتقاليد الاجتماعية من جهة اخرى. وقد مدح مؤرخو التراجم بعض من امتهن هذه الصناعة، وهذا ما نجده

---

(١) محمد كمال الدين بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم الجلال أبو عبد الله بن الشهاب العباسي بن السكمال الأنصاري القاهري الشافعي، ولد سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م بالقاهرة وحفظ القرآن وجوده عن الزين عبد الغني الهيثمي وكذا وجود الخط عن ابن الحمصاني المقري ويس وكتب به كثيراً من تصانيف أخيه وغيرها بل قرأ بحثا على المحيوي الدماطي المنهاج وغالب شرح الألفية لابن أم قاسم وعلى الجوجري جمع الجوامع وعلي الشرواني في أصول الدين والمنطق. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٤٥٨.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ ص٤٥٨-٤٥٩.

في ترجمة تاج الدين القلعي المصري[١] " باشر بعض مطابخ السكر وكان كريم النفس متودداً محباً للمحدثين بشوشا "[٢].

لم يغفل مؤرخو القرن التاسع الهجري باثبات علاقـــتهم بمتـــرجميهم فـــي مواضع كثيرة، مبينين رأيهم فيهم نقداً او تقويماً، وبهذا شمل النقد التاريخي سواء كان ايجابياً ام سلبياً شخصيات تتصل بالمؤرخ بصـــلة القرابـــة، او صـــداقة او زمالة، وتتحدد تلك العلاقة من حديث المؤرخ الذي يترجم لتلك الشخصية، مـــن حيث سنوات الصحبة او الرفقة في السفر، او اتصاله عن طريق اشتغاله معه في الأمور الإدارية، وأحيانا يذكر المؤرخ هذه الصحبة ويؤكد عليها بعبارة معينة.

وان نقد المؤرخين لهؤلاء قد تميزت بالدقة؛ لأنهم عايشـــوا المتـــرجمين، وشاهدوا واطلعوا على سلوكياتهم، وخبروا احوالهم، وكل ذلك قد ســـاعدهم فـــي إصدار أحكام اقرب ما تكون الى الواقع.

ومن الالفاظ التي تدل على العلاقة الطيبة التي تربط المؤرخ مع صاحب الترجمة وهي عبارة(وكانت بيننا مودة) والتي تؤدي الى نقده نقدا ايجابيا، وهذا ما نجده في ترجمة حسين بن علي الأذرعي(ت٨١٤هـ/١٤١١م)[٣] أذ قال فيه

---

(١) عبد الله بن علي بن عبد الواحد الاطفيحي تاج الدين القلعي المصري، سمع من البهاء محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان وحسن بن عمر الكردي والواني والدبوسي وعبد الله بن يوسف الدلاصي. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٧٦.

(٣) حسين بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الأذرعي ثم الصالحي بدر الدين ابن قاضي أذرعات تفقه في صباه على الشرف ابن الشريشي والنجم بن الحاني وتعانى الأدب، ناب في الحكم ثم تركه تورعاً، وهو ممن أذن له البلقيني بالإفتاء لما قدم الشام، وكان يثني

ابن حجر:" وفاق في الفنون ودرس وأفتى وناظر، وناب في الحكم ثم تركه تورعاً... وكانت بيننا مودة، سمعت منه نظما وسمع مني "(١).

عليه كثيراً، ودخل القاهرة بعد الكائنة العظمى، ومات بالطاعون. ينظر: ابن حجر: انباء انباء الغمر، ج١/ ص٣٨٧.

(١) المصدر نفسه، ج١/ ص٣٨٧.

الخاتمة

في ضوء دراستنا للنقد التاريخي عند ابن حجر في كتابه انباء الغمر بانباء العمر توصلنا إلى جملة من النتائج، نذكرها على النحو الآتي:

- ان منهجية النقد التاريخي في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد مثلت صفحة مشرقة من صفحات التدوين التاريخي، وأن مصر بصورة خاصة كانت تمثل مركز الإشعاع الفكري للدولة العربية الاسلامية في تلك الفترة.
- امتزج النقد التاريخي مع (الجرح والتعديل)، فنلاحظ أن ابن حجر كانت ألفاظه النقدية تعبر عن أنه محدث وفقيه ومؤرخ، فيستخدم في نقده للادباء واللغويين ألفاظا لها علاقة بعلم الرجال، منها (كان عاريا من العلم) (كان بذيء اللسان) (لم يكن ماهراً في العربية) (كان قليل البضاعة).
- من خلال تتبع كتاب أنباء الغمر في التراجم والحوادث، تَبين أن النواحي التي يقع فيها النقد، هي السلوك الديني، والسلوك الأخلاقي للمترجم له، فضلاً عن نقد السيرة العلمية.
- إن ابن حجر قد راعى في الأدباء واللغويين العديد من الصفات، ومنها التولع بالعلم، والمعرفة بالاستحضار، والتمهر فيما يعملونه.
- نجد بعض الأدباء والشعراء قد استغلوا الشعر بدافع سياسي هو التقرب إلى الأعيان والسلاطين لتولي عدة مناصب، أو بدافع اقتصادي هو توفير سبل العيش.
- الذي يمكن تسجيله على ما جاء في تراجم التجار عند المؤرخين المصريين خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ان اغلب احكامهم جاءت ايجابية بحق اولئك التجار المترجمين، وربما عاد ذلك الى أن اغلب هؤلاء كانت لديهم ثقافة دينية، حيث درسوا القرآن والحديث

والفقة فأثر ذلك في تعاملهم مع الناس وعلى ممارستهم لمهنة التجارة، والغريب أن تراجمهم اجمالاً كانت أفضل لكثير من تراجم القضاة عند مؤرخي مصر، اذ تعرض القضاة الى نقد لاذع جراء ما اقترفوه من تجاوزات حطت من قيمة منصب القضاء، على الرغم من ان القضاة تثقفوا دينياً أيضاً.

- برزت شخصية ابن حجر العلمية في نقده ما وقع به المؤرخون من أغلاط وأخطاء في عرضهم للروايات التاريخية، بالرغم من ثقته بمؤلفي مصادره، الا ان اساليب نقده تنوعت من خلال بعض المصطلحات التي استخدمها بالنقد من تعجيب واستغراب، او رد الخطأ عنهم بسقط، او سهو، او نسيان، داعماً رأيه بالأدلة التاريخية التي تُعضد صحة رأيه، فضلاً عن المشاركة بآرائه وتعليقاته وتحليلاته في الروايات المختلف في صحتها.
- امتاز منهج ابن حجر بالجمع بين آراء موارده عند سرد الرواية التاريخية، فضلاً عن الدقة والملاحظة اثناء النقل من مصادره، فضلا عن المقارنة بين التراجم.

قائمة

المصادر والمراجع

اولاً : المصادر الأولية

-القرآن الكريم

الابشيهي ، شهاب الدين محمد (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)

١. المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، ط٢، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، ١٩٨٦م).

ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد الجزري، (ت/٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، محمود الطانجي، المكتبة العصرية (بيروت، د.ت)

ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م)

٣. معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق روبين ليفي، (لندن ١٩٣٨) .

الازهري، ابو منصور محمد بن احمد الهروي(ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).

٤. تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية،(القاهرة، ١٩٦٤م).

الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن(ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)

٥. طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد(وزارة الاوقافن ١٩٧١م).

ابن إياس الحنفي، محمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)

٦. بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مطبعة بولاق، (مصر ١٣١٤هـ) والمطبعة الأميرية ، (مصر ١٣١١هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ)

٧. التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية،(حيدر آباد – الدكن، د.ت)

أبن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي(ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

٨. رحلة أبن بطوطة، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، (بيرت والقاهرة، د. ت)

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م).

٩. حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، (كاليفورنيا،١٩٣٠-١٩٣١م).

١٠. الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الكتب المصرية،(القاهرة، ١٩٩٨م).

١١. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، مطبعة النصر المصرية (القاهرة ، ١٩٨٥م).

١٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٢م).

الجبرتي، عبد الرحمن (ت ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢ م)

١٣. عجائب الآثار في التراجم والاخبار، الهيئة العامة المصرية للطباعة و النشر(القاهرة، ١٩٧٨ م) .

ابن جماعة، بدر الدين (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م).

١٤. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مطبعة الباكر(قطر، ١٩٨٥م).

ابن ابي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمـــي، الـــرازي (ت ٣٢٧هـ)

١٥. الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية(الهند، ١٩٥٢م)

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) .

١٦. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، منشورات مكتبة المثنى(بغـــداد، د.ت).

ابن حجر، ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بـــن محمـــد العســـقلاني(ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م).

١٧. إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، (القاهرة، ١٩٩٨م).

١٨. تهذيب التهذيب، دار صادر، (بيروت، د. ت).

١٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل (بيروت، ١٩٩٣م).

٢٠. رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: حامد عبد المجيد وآخرين، مطبعـــة الأميرية (القاهرة، ١٩٦١ م).

الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبدالله(ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)

٢١. الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنـــان، (بيروت: ١٩٧٥م)

الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت٨٧٦هـ / ١٤٧١م) .

٢٢. شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق: نـــاظم رشـــيد، دار الحريـــة(بغداد، ١٩٧٩م).

الخطيب التبريزي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله(ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٧م)

٢٣. شرح ديوان أبي تمام، ، تحقيق: محمد عبده عزام، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٨٣م.

ابـن خلـدون، عبـد الـرحمن بـن محمـد بـن خلـدون الحضـرمي(ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٢٤. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتـاب اللبنـاني، (بيـروت ١٩٦٦-١٩٦٧م).

٢٥. المقدمة، دار الرائد العربي، (بيروت، ١٤٠٢هـ) .

ابن دريد، محمد بن الحسن الازدي البصري (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م).

٢٦. جمهرة اللغة، مكتبة المثنى، (بغداد ، ١٩٢٦م).

الدواداري ، ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت٧٣٦هـ /١٣٣٥ م)

٢٧. كنز الدرر وجامع الغرر، المشهور بالدر المطلوب في اخبار بنـي ايـوب تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار احياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٩٧٢م).

الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)

٢٨. تأريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمـر عبـد السـلام تدميري، دار الكتاب العربي(بيروت، ٢٠٠٢م).

٢٩. دول الإسلام في التاريخ ، تحقيق فهيم شلتوت، (القاهرة ١٩٧٤م).

٣٠. سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرنـاؤوط،ط٣، مؤسسـة الرسـالة(١٩٨٥ م).

٣١. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية (جدة، ١٩٩٢م).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦ هـ/١٢٧٧م) .

٣٢. مختار الصحاح ، دار الكتاب الحديث (الكويت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .

الزبيدي : محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).

٣٣. تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ، د.ت).

سبط ابن الجوزي ، شمس الدين يوسف بن قزاوغلو (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦ م)

٣٤. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان مطبعة دائرة المعارف العثمانية(حيدر اباد، ١٩٥٢م).

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م)

٣٥. طبقات الشافعية الكبرى(القاهرة، ١٣٢٤هـ).

٣٦. معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علب النجار وآخرون، دار الكتاب العربي ، (مصر، ١٩٤٨م).

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م).

٣٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة (بيروت، د.ت).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي (ت ٢٣٠هـ)

٣٨. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٠م).

السمناني ، أبو القاسم علي بن محمد بن احمد الرحبي (ت ٤٩٩هـ/١١٠٦م).

٣٩. روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: صلاح الدين الناهي، مطبعة اسعد(بغداد، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م) .

ابن سيدة ، ابو الحسن بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م) .

٤٠. المخصص،مطبعة المكتب التجاري للتوزيع والنشر،(بيروت، د. ت) .

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).

٤١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر(١٩٧٩م).

٤٢. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، ١٩٦٧م).

٤٣. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية(بيروت، ١٤٠٣م).

٤٤. قطف الازهار في كشف الاسرار، تحقيق: أحمد بن محمد الحمادي، ادارة الشؤون الإسلامية، (الدوحة، ١٩٩٤م).

٤٥. نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: فيليب حتى، المكتبة العلمية(بيروت، ١٩٢٧م).

أبو شامة، شهاب الدين محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

٤٦. تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري المعروف بـ "الذيل على الروضتين"، تصحيح : محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، (بيروت، ١٩٧٤م).

ابن شاهين، احمد بن علي بن خليل الظاهري (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨ م)

٤٧. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيـق: بـولس راوبـس المطبعة الجمهورية، (باريس ١٨٩٤م).

الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م).

٤٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، نشـره معـروف عبـد الله باسندو، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٣٤٨ هـ).

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

٤٩. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشره السيد الباز العريني، (القاهرة ١٩٦٤).

الصفدي، خليل بن ايبك (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٥٠. أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت- ٢٠٠٠م).

٥١. الوافي بالوفيات، باعتناء احسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٠)٠

الصيرفي: الخطيب الجوهري علي بن داود (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م).

٥٢. انباء الهصر بانباء العصر، حسن حبشي، دار الفكر العربـي،(القـاهرة، ١٩٧٠م)

٥٣. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحق حسن حبشي، مطبعـة دار الكتب (القاهرة، ١٩٧٠ م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)

٥٤. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبـو الفضـل إبـراهيم، دار المعـارف، (القاهرة، ١٩٦٩م) .

الطرابلسي، علاء الدين أبو الحسن علي بن خليل الحنفي (ت ٨٨٢هـ/١٥٠٤م)

٥٥. معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، المطبعة الميمنية (القاهرة ، ١٣١٠هـ) .

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

٥٦. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر (بيروت، ١٩٦٦م).

ابن طولون، محمد بن علي الصالحي (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م)

٥٧. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، دار المصرية (القاهرة، ١٩٦٤م).

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل الحنبلي البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م) :

٥٨. مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٥٤م).

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)

٥٩. سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، المطبعة السلفية، (القاهرة،١٣٨٠هـ).

ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي الدمشقي العسكري (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

٦٠. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي (د.ت).

العمري ، شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

٦١. التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة (القاهرة ، ١٣١٢هـ) .

العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م).

٦٢. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق: فاضل جابر ضاحي، دار تموز(دمشق، ٢٠١٤م).

٦٣. السيف المهند في تاريخ الملك المؤيد ، تحقيق: فهيم شلتوت ، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٦٧م).

٦٤. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي، مطبعة علاء (القاهرة، ١٩٨٥ م).

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م)

٦٥. الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، ط ٢، دار الافاق الجديدة، (بيروت، ١٩٧٩م).

الغساني، اسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)

٦٦. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبدالمنعم، دار التراث الاسلامي، دار البيان (بغداد، ١٩٧٥م).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد(٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

٦٧. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة ، ١٣٢٥ هـ) .

ابن قاضي شهبة، تقي الدين ابو بكر احمد (ت٨٥١هـ/١٤٤٧ م)

٦٨. تاريخ بن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش (دمشق، ١٩٧٧م)

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م)

٦٩. الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق احمد عبد العليم ، مطبعة دار الكتب، (القاهرة ١٩٦٧م).

القز ويني ، زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)

٧٠. آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر (بيروت، ١٩٦٠م) .

القلقشندي: شهاب الدين احمد بن علي بن احمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م).

٧١. صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، مطبعة الأميرية(القاهرة، ١٩١٣ م).

٧٢. مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت(الكويت، ١٩٦٤م) .

الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٧٣. عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد (بغداد، ١٩٨٠م).

٧٤. فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٧٤م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨ م).

٧٥. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحرية للطباعة (بغداد،١٩٨٩م).

٧٦. أدب الوزير (الوزارة) ، تحقيق محمد سليمان داوود وفؤاد عبد المنعم احمد، دار الجامعات المصرية (١٩٧٦م).

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف،(ت ٧٤٢هـ)

٧٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة(بيروت، ١٩٨٠م).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م)

٧٨. الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٥٥م) .

مغلطاي، علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري (ت ٧٦٢هـ)

٧٩. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر(٢٠٠١ م)

المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي بن عبد القادر الحسين(ت٨٤٥هـ/١٤٤١ م).

٨٠. إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف و النشر(القاهرة، ١٩٤٠م).

٨١. درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي (٢٠٠٢م).

٨٢. السلوك لمعرفة دولة المماليك ، تحقيق مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية(القاهرة، ١٩٣٦).

٨٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـالخطط المقريزية، مطبعة مؤسسة الحلبي (القاهرة ، ١٢٧٠ هـ).

ابن مماتي، اسعد شرف الدين أبو المكارم بن أبي سعيد (ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م).

٨٤. قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريا عطية، مطبعة مصر (مصر، ١٩٤٣م).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

٨٥. لسان العرب ، دار صادر (بيروت، ١٩٦٨ م) .

النابلسي، عثمان بن إبراهيم (ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م).

٨٦. لمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية، مطبعة مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، د. ت).

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م)

٨٧. نهاية الارب في فنون الادب، دار النهضة للطباعة والنشر (القاهرة- ١٩٤٢).

الهمداني، فضل الله رشيد الدين (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)

٨٨. جامع التواريخ، ترجمة، محمد صادق نشأت وآخرين، تقديم: يحيى الخشاب، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٠م).

ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٦٦م).

٨٩. معجم البلدان، دار صادر (بيروت،١٩٥٩ م) .

ثانياً : المراجع الثانوية:

احمد، محمد منصور

٩٠. الشرق الأوسط في موكب الحضارة (الحضارة العربية الإسلامية)، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة،١٩٦٠م).

الانباري ، عبد الرزاق علي

٩١. النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي، مطبعة النعمان(النجـف، ١٩٧٧م).

باشا ، سعاد علي

٩٢. الخطط التوفيقية الجديد و لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة بولاق (القاهرة، ١٣٠٦ هـ).

باشا، أمين سامي :

٩٣. تقويم النيل وأسماء من تولوا أمر مصر ومدة حكمهم عليهـا وملاحظـات تأريخية عن أحوال الخلافة العامة وشؤون مصر الخاصة (١ – ١٣٣٢هـ/٦٢٢ – ١٩١٤م)، المطبعة الأميرية (القاهرة، ١٩١٥م).

البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد امين(١٣٣٩هـ/١٩٢٠م).

٩٤. هدية العارفين –اسماء المؤلفين وآثار المصـنفين، (بيـروت، دار احيـاء التراث العربي ، د.ت).

التكريتي، محمود

٩٥. الأيوبيـون فـي شـمال الشـام والجزيـرة، مطبعـة دار الرشـيد (بغداد، ١٩٨١م).

حسن، علي إبراهيم

٩٦. مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، (القاهرة، ١٩٦٣م).

حسين، احمد

٩٧. موسوعة تأريخ مصر، دار الشعب للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٩م).

الخربوطلي، علي حسني

٩٨. مصر العربية الإسلامية – السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الاسلامي منذ الفتح العربي الى الفتح العثماني، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، د ت).

الدجيلي، عبد الصاحب عمران

٩٩. أعلام العرب في العلوم والفنون، (النجف ، ١٩٦٦م).

دهمان، محمد احمد

١٠٠. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر (بيروت، ١٩٩٠م).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي

١٠١. الأعلام، دار العلم للملايين، (٢٠٠٢ م).

رضا، أحمد

١٠٢. معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٠م).

ابو زيد، سهام مصطفى

١٠٣. الحسبة في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(١٩٨٦م).

زيدان، جرجي

١٠٤. تأريخ آداب اللغة العربية، تعليق: شوقي ضيف، دار الهلال(مصر، د.ت).

١٠٥. تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق، حسين مؤنس، دار الهلال(القاهرة، د.ت) .

السامرائي، حسام قوام

١٠٦. المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، مكتبة دار الفتح ، (دمشق ١٩٧١م).

سرور، محمد جمال الدين

١٠٧. دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٤٧م).

سعيد، ابراهيم حسن

١٠٨. البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف(الاسكندرية،١٩٨٣م).

سعيد، خليل

١٠٩. منهج البحث التاريخي، (بغداد د.ت).

سليم، محمود رزق

١١٠. الأشرف قانصوه الغوري ، الدار العربية المصرية،(القاهرة، د.ت).

١١١. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي، مكتبة الآداب(القــاهرة، ١٩٦٢م).

سليمان، أحمد السعيد

١١٢. تأريخ الدول الإسلامية ومعجم الأُسر الحاكمة، دار المعــارف، (القــاهرة، ١٩٦٩م).

شاكر، محمود

١١٣. التأريخ الاسلامي – العهــد المملــوكي، المكتــب الاســلامي،(بيروت، ٢٠٠٠م).

شلبي، أحمد

١١٤. موسوعة التأريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية،(مصر وسوريا من مطلع الإســلام حتــى العهــد الحاضــر – الحــروب الصــليبية – الامبراطوريــة العثمانية)،(القاهرة ، ١٩٧٩م).

ضاحي، فاضل جابر

١١٥. كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة دراسة وتحليل، دار الضياء للطباعة والنشر،(٢٠٠٩م).

١١٦. العزوف عن الزواج بين المؤلفين في العصــور الاســلامية، دار تمــوز(دمشق، ٢٠١٣م)

١١٧. محاضرات في منهج البحث التاريخي، دار الضياء،(٢٠٠٨م)

طرخان ، إبراهيم علي

١١٨. النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط، (القاهرة، ١٩٦٨م).

عاشور، سعيد عبد الفتاح

١١٩. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليــك، دار النهضـــة العربيـــة(القاهرة، ١٩٩٢م).

١٢٠. مصر والشام في عصر الأيــوبيين والمماليــك، دار النهضـــة العربيـــة، (القاهرة،١٩٧٢م).

عاشور، فايد حماد

١٢١. العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولـــى، دار المعارف، (القاهرة ، ١٩٧٦م).

عبد الدايم، عبد العزيز محمود

١٢٢. مصر في عصري المماليك والعثمـــانيين، مكتبـــة النهضـــة، (القـــاهرة، ١٩٩٦م).

عثمان، حسن

١٢٣. منهج البحث التاريخي، دار المعارف (القاهرة ١٩٧٦) .

العريني، الباز

١٢٤. المماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٦٧م).

عز الدين، محمد كمال الدين

١٢٥. التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، دار أقرأ للنشر والتوزيـــع والطباعة (لبنان، ١٩٨٤م).

العلايلي، عبد الله

١٢٦. الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد : نديم وأُسامة مرعشلي، دار الحضـــارة العربية، (بيروت، ١٩٧٤م).

عنان، محمد عبد الله

١٢٧. مصر الإسلامية وتأريخ الخطط المقريزية، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة، ١٩٦٩م).

١٢٨. مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، د. ت) .

فروخ، عمر

١٢٩. تأريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٧٢م).

فليح، مناهل فخر الدين

١٣٠. التعليم في ظل دولة المماليك ٦٤٨ – ٩٢٣هـ مجلة آداب الرافدين، العدد ١٠، جامعة الموصل : ١٩٧٩م.

كحالة ، محمد رضا

١٣١. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مطبعة الترقي (١٩٥٧ م).

ماجد، عبد المنعم

١٣٢. تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو مصـــرية (القاهرة ، ١٩٨٦م).

١٣٣. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الانجلو مصـــرية (القاهرة ، ١٩٦٧م).

مبارك، علي باشا

١٣٤. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة دار الكتب، (القاهرة، ١٩٦٩م).

مصطفى، شاكر

١٣٥. التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٧٩م)

مؤنس، حسين

١٣٦. أطلس تاريخ الإسلام ، دار الزهراء للإعلام العربي، (القاهرة ١٩٨٧م).

الهاشمي، أحمد

١٣٧. جواهر الأدب في ادبيات وانشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، (بيروت، د.ت).

اليسوعي، لويس معلوف

١٣٨. منجد الطلاب، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٧٩م).